الصفات الإلهية
بين السلف والخلف

تأليـــف

عبـد الرحـمن الوكـيل رحمه اللّه

الرئيس العام لجماعات أنصار السنة المحمدية سابقاً

تقـديـــم

الشيخ عبد اللّه السبت

دار الفتح

الشارقة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى لدار الفتح
١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦م

موافقة وزارة الإعلام والثقافة
رقم : أ ع ش ١٣٩٨
تاريخ : ١٣/ ٧/ ١٩٩٥م

الناشر
دار الفتح للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف المطبعة : ٣٢٢٣٠٨ ـ هاتف المكتبة : ٣٢٢٥٢٤ـ ٦.
فاكس رقم: ٣٢٢٥٢٦ـ٠٦ ص. ب : ٢٣٤٢٤ الشارقة ـ إ.ع.م

مقـــــدمة

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين نحمده وهو أهل الحمد وأهل التقوى، ونستغفره فهو أهل المغفرة .

ونشهد ألا إله إلا اللّه خلق لعبادتة الخلق، وهيأ لهم سبلها فأرسل الرسل وأنزل الكتب لئلا يكون للناس على اللّه حجة .

وأشهد أن محمداً رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وصحبه وسلم جعله اللّه عز وجل فصلاً وفرقاناً وميّز به بين الحق والباطل والهدى والضلالة، فبيّن أن الخصومة بين أهل الحق والباطل إنما هو في التوحيد وإفراد المولى بالعبادة والاعتقاد الصحيح فيه سبحانه بما أخبرنا به من كريم الآيات وعظيم الدلائل ففاز من أتبعه وخسر من شاقه وخالفه .

أما بعد.

فتوحيد المولى تبارك وتعالى كان مفاصلةً بين الرسول ﷺ وأهل الشرك من قريش، فأعلن براءته من المشركين ومن الشرك، ورفع راية التوحيد. ثم جاء بعده ﷺ وبعد صحابته قوم من أهل هذه الملة فابتدعوا في دين اللّه عز وجل وخاصة في جانب الاعتقاد في اللّه تبارك وتعالى ـ وهم المتكلمة ـ وحملوا عقائد الوثنين والفلاسفة المارقين فنابذوا بها أهل السنة والجماعة، فصدع علماء أهل السنة بالحق وبيّنوا الاعتقاد الصحيح في باب أسماء اللّه وصفاته فكان باب الأسماء والصفات من التوحيد مفاصلة بين أهل البدعة وأهل السنة، وقامت طائفة أخرى حملوا ما حمل هؤلاء إلا أنهم كانوا من صنف آخر فقد حملوا أيضا ما عند النصارى واليهود من شركيات في العبادة وضلالات في الاعتقاد وتعظيم الصالحين والطالحين فنابذوا بها أهل السنة والجماعة، فقام علماء السنة ببيان باطلهم

وشركهم، فكان توحيد الألوهية مفاصلةً بين أهل البدعة من الصوفية وأهل السنة .

وفي عصرنا هذا ظهرت أو أُظهرت في الأمة دعواتٌ وجماعاتٌ تدندن على أهداف عامة، وتطرح طروحات لإصلاح الأمة، وتدّعي فيها السير على نهج رسول اللهﷺ في الدعوة إلى اللّه ونسأل هؤلاء أهم قد وضعوا ما وضع رسول اللهﷺ من أولويات ومسلّمات ودعوا الناس لتوحيد الله ونبذ الشرك والبدع والدعوة إلى إسلامٍ صافٍ وتربية الناس عليه؟ أم أنهم ما ميّزوا دعوتهم عن مخالفي دعوة المصطفىﷺ وهل أخرجوا من صفوفهم أهل الضلال والقبوريين وأهل التعطيل والتأويل؟ . لا شك أن ميزان الدعوات والفصل بين دعوة الحق ودعوة الباطل هو توحيد العباده للّه والدعوة إلي ذلك، فإذا رأيت ـ رحمك اللّه ـ دعوةً لا تقوم على دعوة الناس إلى توحيد اللّه عز وجل ونبذ الشرك والالتزام بالمنهج الإلهي فاعلم أنه لا خير فيها وخاصة إذا اقترنت دعوتهم هذه بالطموح الدنيوي وطلب الرياسة كهدف تتضاءل بجانبه باقي الأهداف!! .

وعلى نهج بيان الحق للناس في مسائل الاعتقاد. كان هذا الكتاب وهو لداعية من دعاة التوحيد بمصر ومجاهد جاهد البدعة وتعرض لصنوف الإيذاء على يد المبتدعة وغيرهم من أصحاب الدعوات الباطلة ألّف هذا الكتاب ليرد على شبهات كثيرة في باب الأسماء والصفات ويأتي بالأدلة البينة على صفاء عقيدة أهل السنة والجماعة. وبيّن أن دليل المسلم في المسائل ليس هو اتباع الكثرة وإنما هو الوقوف على الحق والتزامه، فكما قالوا: «اعرف الحق تعرف أهله واعرف الباطل تعرف من أتاه» وقالوا: «لا يغرنك كثرة السالكين ولا تستوحش قلة السالكين» وذلك في طريق اللّه عز وجل .

نسأل المولى أن يسبغ على الكاتب وافر رحمته ويجزيه بجهاده خير الجزاء ويوفقنا إلى طاعته واجتناب سخطه ونقمته .

كتبه/ **عبد اللّه السبت**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد الذي أرسله الله رحمة للعالمين.

«وبعد» فإن عبادة الله وحده، هي الحكمة من الخلق، قال تعالى: ﴿ **وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلا ليعبُدون**﴾ (١) وبها أرسل كل الرسل ﴿ **وما أرسلنا من قبلكَ من رسولٍ إلا نوُحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبُدون** ﴾.(٢)

وعبادة الله بأسمائه وصفاته هي روح الدين، وقوامه، لم يدعنا الله للظنون والأوهام، بل منَّ علينا برحمته ، فعرَّفنا بصفاته وأسمائه، ففاضت قلوب المسلمين الأولين بالهدى واليقين والطمأنينة، فرضي الله عنهم، ورضوا عنه.

ولو أنهم ارتابوا في معاني الأسماء والصفات الإلهية ما قام لهم دين ، وما قامت لهم أمّة بنصر الله.

وهل يجوز لمسلم أن يظن في مسلم أنه يرتاب فيما أخبر الله به عن أسمائه وصفاته ؟! أو يبهت الله بأنه بغى على نفسه فيما وصف، وسمّى به نفسه؟!

إن وهماً من الشك يغيِّم على نفس المؤمن يحجب عنه نور الله وحقيقة الحياة، والمسلم الحق لا يأذن لظلمة الضلالة أن تحجب عنه هدى الله.

---

(١) سورة الذاريات :٥٦.

(٢) سورة الأنبياء:٢٥

دليل الإيمان: وأدل دليل على إخلاص الإيمان: الاعتقاد الصادق في أنّ الله وحده هو الرب الخلاق الحكيم العليم ، وأنه ـ جل شأنه ـ فيما أخبرنا به عن صفاته وأسمائه: لم يخبرنا إلا بما هو الحق والكمال ، وأنه رضي لنفسه هذه الأسماء والصفات بمشيئته وحكمته ومحبته، لا بمشيئة المخلوق ، وهوى المخلوق.

ومن أقوى الأدلة على قوة الإيمان ، وهيمنته على القلب والعقل هو أن تعتقد اعتقاداً ـ لا يشوبه شك ـ أنّ كل ما وصف الله به نفسه، وسمّى به نفسه في القرآن، هو الحق الذي لا يجوز لمسلم أن يحيد عنه، أو يرتاب فيه ، أو يضربه برأي طَروح، وهوىً جموح !! وأن تعتقد أنّ كلام الله سبحانه في هذا الشأن هو القول الفصل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، وأنّ بيان الله عن صفاته وأسمائه هو رب كل بيان في فصاحته وبلاغته، وأن تعتقد أنّ رسول الله ﷺ قد بلّغ كل ما أُنزل إليه من ربه. وأنه لم يتقوّل على ربه شيئاً من الأقاويل. وأنّ الله ليس بظلام للعبيد ، فلا يجوز لنا أن نظن فيه أنه ينذرنا بالويل والثبور إذا نحن وصفناه بما وصف به نفسه، ودعوناه بما سمى به نفسه . ثم إن الله سبحانه هو المنزل لقوله : ﴿**خلقَ الإنسانَ * علَّمه البيان**﴾.(١)

ولعلك في دهش مما أقول !! ولكن رُويدك يا أخي ، فقد بهت بعض الناس ربهم بالعيِّ في البيان عن صفاته وأسمائه، فكفروا بما قاله سبحانه عن صفاته العليا، وأسمائه الحسنى ، وبما قاله رسول الله ﷺ وراحوا ـ تحت غيِّ الضلالة يبتدعون، أو يفترون للرب الخلاق ـ وهم الخلق والعبيد ـ الأسماء والصفات !!

(١) سورة الرحمن : ٣ ـ ٤ .

لقد استزلهم الشيطان إلى أن يبهتوا الله بأنه منَّ على الإنسان بما لا يملكه الرحمن، وبأن المخلوق هو الذي علَّم الخالق البيان !! سبحانك !! هذا بهتان عظيم!!.

إيمان الصحابة والتابعين: أما أصحاب الرسول ﷺ، فقد اقتدوا به في الإيمان، فلم يسأل أحدهم عن الصفات والأسماء، وهم الذين سألوا عن الأنفال، واليتامى، والأهلّة، والخمر والميسر ، والمحيض وغيرها من الأمور التي لا تدنو مرتبة العلم بها من مرتبة العلم بأصل أصول الدين وهو معرفة الله بأسمائه وصفاته ، ولو أنهم جهلوا معانيها ، أو مسّتهم ريبة ما في شأنها، لسألوا فما يجوز لنا أن نفهم أن العلم بأمر المحيض . أجل مكانة عند هؤلاء البررة من العلم بأمر الدين كله، وأصل أصوله ، ولو أنهم سألوا ، لنُقل إلينا ، إذ هو أمر تتوفر الدواعي على نقله.

أما التابعون لهم بإحسان: فقد استنّوا كذلك بسنة خاتم المرسلين. وحقٌّ ما يقول الإمام ابن تيمية: «كان من أعظم ما أنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان: أنه لا يُقبل من أحد قط أن يعارض القرآن، لا برأيه، ولا ذوقه ولا معقوله ولا قياسه ولا وَجْده» (١).

رأي المقريزي: وما يقوله المقريزي : «من أمعن النظر في دواوين **الحديث النبوي** ، ووقف على الآثار السلفية ـ علم أنه لم يرد قط من طريق صحيح، ولا سقيم عن أحد من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ على اختلاف

(١) ص ١٩ رسالة الفرقان ج١ مجموعة الرسائل الكبري لابن تيمية، وهو يعرِّض بالأصوليين والفقهاء والمتكلمين والفلاسفة والصوفية .

طبقاتهم وكثرة عددهم ـ أنه سأل رسول الله ﷺ عن معنى شيء مما وصف الرب ـ سبحانه ـ به نفسه الكريمة في القرآن الكريم ، وعلى لسان نبيه ﷺ ، بل كلهم فهموا معنى ذلك ، وسكتوا عن الكلام في الصفات، ولا فرّق أحد منهم بين كونها صفة ذات، أو صفة فعل، وإنما أثبتوا له تعالى صفات أزلية من العلم والقدرة والحياة والإرادة والسمع والبصر والكلام والجلال والإكرام، والجود والعز والعظمة، وساقوا الكلام سوْقاً واحداً ، وهكذا أثبتوا ـ رضي الله عنهم ـ ما أطلقه الله ـ سبحانه ـ على نفسه الكريمة من الوجه واليد ، ونحو ذلك مع نفي مماثلة المخلوقين ، فأثبتوا ـ رضي الله عنهم ـ بلا تشبيه ، ونزّهوا من غير تعطيل ، ولم يتعرض مع ذلك أحدهم إلى شيء من هذا ، ورأوا بأجمعهم إجراء الصفات كما وردت ، ولم يكن عند أحدهم ما يستدل به على وحدانية الله تعالى، وعلى إثبات نبوة محمد ﷺ سوى كتاب الله تعالى، ولا عرف أحد منهم الطرق الكلامية، ولا مسائل الفلسفة» (١).

وقول المقريزي الذي يثبت فيه أن الصحابة لم يستدلوا على الوحدانية والنبوة بغير كتاب الله ـ قول يجلّه كل مسلم ، ويُصدِّق به كل مسلم ولا أظن في مسلم أن يجرؤ على القول بأن جدل الفلسفة، وسفسطة علم الكلام يهديان إلى يقين، أو بأن (ابن سينا والفارابي والباقلاني، والجويني) أقدر من الله على إقامة الآيات البينات والحجج الساطعات التي تثبت أنه واحد لا شريك له، أو بأن ما في (الإشارات، أو المواقف، أو العقائد النسفية) من ترّهات أجلّ مما في كتاب الله من براهين تَبْدَه بقهر الحق عقولَ الفلاسفة وغير

(١) الخطط والآثار ج ٢ ص ٣٥٦.

الفلاسفة (١)، فتقهرها على الإذعان والاستسلام.

كلمة كافرة: لقد قال الكلاميون كلمة كافرة ـ وهذا أحقّ ما توصف به هذه الكلمة ـ تلك هي : أن أدلة القرآن لا تفيد اليقين !! ومن يتدبر ما ابتدعته الفلسفة من أدلة مزعومة، وما لَفَّقه علم الكلام من أباطيل ، ويتدبر أدلة القرآن العقلية يتجلى له في إشراق، أن أتم الأدلة العقلية وأعظمها وأفضلها هي أدلة القرآن لا جدل الفلسفة، ولا سفسطة علم الكلام، وليتدبر كل مسلم هذه الآية: ﴿**هو الذي بعثَ في الأميينَ رسولاً منهم يتلو عليهم آياتِه ويزكِّيهم ويعلمهُمُ الكتابَ والحكمةَ وإن كانوا من قبلُ لفي ضلالٍ مبين**﴾(٢) ولا ريب في أن هذه الآية تقطع بأن الرسول ﷺ قد بين الأدلة العقلية والسمعية التي بها يهتدي الناس إلى الاعتقاد الصحيح، والإيمان الكامل، والدين الحق ، وإلى ما فيه النجاة والسعادة في الأولى وفي الآخرة، وتقطع بأن من يتجنب هذه الآيات التي تلاها رسول الله ﷺ، والكتاب والحكمة اللذيْن علَّم، إنما هو في ضلال مبين. أفعند « الخَلفيَّة» أثارة من هذا الهدي؟! إنها تزعم أن أدلة القرآن خطابية تثير العاطفة، ولا تقنع العقل، أو أنها لا تفيد يقيناً، ولا تُسْلِم إلى طمأنينة ، ثم تبتدع لنا أدلة أخرى تخالف بها أدلة القرآن، وهي في حقيقتها باطلة عقلاً، وباطلة سمعاً، ورغم هذا تصر الخلفية في عتوٍّ الجحود على أنها أكمل هدْياً من أدلة القرآن فهي ـ إذن ـ تكفر صراحة بالآية القرآنية التي

(١) هناك دليل واقعي، هو أقوى الأدلة. وهو أن القرآن هدى اللّه به أمة هي أعظم أمة أخرجت للناس أما علم الكلام، فلم يهد فرداً واحداً، بل إنه عمل على أن يأتي هذه الأمة ينقصها من أطرافها، وعلى أن يبدّد وحدتها، ويقضي على يقينها، ولقد كان المسلمون أعظم الأمم أيام أن كان للقرآن وحده الهيمنة على حياتهم. أما حين مستهم الفلسفة، وفتنهم علم الكلام، فقد أصابهم ما أصابهم.

(٢) الجمعة: ٢.

ذكّرناها بها، والتي تكرر معناها في القرآن مرات عديدة. تكفر بأن محمداً ﷺ بيَّن الآيات ، وعلَّم الحكمة والكتاب ، وبأنه يُزكّي بما جاء به العقلَ والنفس والقلب . أما سلفنا الأخيار، فقد آمنوا بكل ما جاء به النبي ﷺ إيماناً طهور الروح، قُدسيّ المعرفة ، مشرق اليقين، ثابت العقيدة، بصيراً بما كُلّف به، خبيراً بما فيه من أدلة سمعية وعقلية.

أمة القرآن: ولقد أتى هذا الإيمانُ العظيمُ كله، فجعل من أصحابه خير أمة أُخرجت للناس، وأعظم جماعة تسامت بكرامة الإنسانية، وبدد بنوره الذي أشرق في قلوب هؤلاء ، وأشرقوا به على الناس ، بغي الصليبية ، وكيد الصهيونية ودنس المجوسية ، ومكن لهم بنصر الله في الأرض ، فأشرق في أرجائها جلال التوحيد ، وروحانية الإيمان وصفاء الخير، ونقاء الحب، ووداعة السلام، وتلاقت الأرحام على أقدس أخوة عرفها تاريخ بني الإنسان.

فأروني الأمة التي أخرجها علم الكلام، ودعاتُه ألوفُ ألوفٍ، وقد خيم على العقول القرون الطوال ؟! إننا لا نجد أمته إلا أمة ضلالة ذاهلة وحيرة شاردة، وإن التاريخ لم يسجل لأمته غير هذا الذي نقول !! وسجل له أنه كان من الظلمات التي حاولت أن تغتال النور في قلوب هذه الأمة وتاريخها المجيد.

كيد دنيء: هكذا فعل الإيمان العظيم الذي تحدثنا عنه بهذه الأمة ولكن أبى المُسعَّرون بالأحقاد أن تظلّ هذه القوة العظيمة المنتصرة تبطش بالجور والسفه والضلالة والكفر، وتشيد في كل لحظة مجداً لقوة الحق، وجلالة الإيمان، وإيثار الأخوة السمحاء، وللوحدة القوية التي تجعل من البشرية أسرة واحدة.

كما أبوا أن يستكينوا إلى ذل الهزيمة، فأوغلوا في الكيد وظلوا بالمسلمين

يمارسون ـ في دهاء ـ فتنتهم، حتى استطاعوا الظفر بمن يهجر القرآن، ويتنكر للسنة ، ويمجد البدعة ، ويسجد للخرافة « وإذا ظهرت البدع التي تخالف دين الرسل ـ كما يقول ابن تيمية ـ انتقم الله ممن خالف الرسل، فإنه لما ظهر في الشام ومصر والجزيرة الإلحاد والبدعُ سلط الله عليهم الكفار، ولما أقاموا ما أقاموه من الإسلام، وقهر الملحدين والمبتدعين نصرهم الله على الكفار» وقول الإمام ابن تيمية حق هدى إليه القرآن ، وامتلأ بآياته التاريخ.

وكان من أشد البدع فتنة ، وفتكاً باليقين بدعة «علم الكلام» وكما زعمت بدعة الصوفية أنها قُدُس القيم الروحية في الإسلام، زعم علم الكلام أنه يمثل أعظم القيم الفكرية ، وأنه علم التوحيد ، وأنه علم أصول الدين ، وأنه أصل للكتاب والسنة، وزعم الذين ابتدعوه أن تعلّمه فرض على كل مسلم، وأن من يُحصّل الإيمان عن غير طريق أدلته فإنه ليس بمؤمن !![1]

سطوة الأشعرية: واستطاعت «الأشعرية» أن تسيطر، وأن تخلب العقول بسحر دعواها التي تزعم فيها أنها عقيدة «أهل السنة والجماعة» واستطاعت كتب المتأخرين من الأشعرية أن تستحوذ على عقول شيوخ الدين في قرون طوال [2] وأن تُحرِّم عليهم النظر في القرآن وتدبره!! وما كُتُب هؤلاء المتأخرين في مقياس الحقيقة إلا جدل لا ينتهي بمن يُلقي إليه سمعه إلا إلى الحيرة الصماء والقلق العصوف المدمر، بل ربما إلى التمرد على الإسلام.

ولقد بلغ من سطوة الأشعرية أنها بطشت بالأزهر نفسه[3] وجثمت على

(١) ص ٨ كتاب توضيح العقائد للشيخ عبد الرحمن الجزيري.

(٢) ساد القول في عصور متقدمة ـ كما يقول الغزالي ـ : « أن العدول عن مذهب الأشعري، ولو في قيد شبر كفر ، ومباينته ولو في شيء نزر ضلال وخسر» ص ٨٧٦ الجواهر الغوالي رسالة فيصل التفرقة. وقد تهكم الغزالي بهذا الزعم، وسخر منه رغم أنه قطب أشعري كبير.

(٣) ولكننا نرجو الأزهر في تنظيمه الجديد العمل بجد حتى يعيد إلى قلوب الناس الثقة بالإسلام فقد أوتي الفرصة.

صدره قروناً متطاولات، وحرَّمت على شيوخه أن يُدرِّسوا لطلابهم عقيدة الإسلام كما هي في القرآن، بل أوجبت عليهم دراساتها في كتبها الجدلية التافهة وما في هذه الكتب إلا أمشاج من عقائد شتى لها رحم ماسّة بكل عقيدة إلا عقيدة القرآن.

كما أوجبت عليهم أ ن يؤكدوا للطلاب قداسة كل ما في هذه الكتب حتى الأخطاء المطبعية . ولقد كان الطالب يقضي عاماً كاملاً لا يدرس فيه غير جملتين من كتاب العقائد النسفية وهما «حقائق الأشياء ثابتة، والعلم بها متحقق» فهل بمثل هذا كان يستطيع أبناؤنا مقاومة تيار الإلحاد الجارف ، وفتن المذاهب المسعورة الخطايا والأحقاد ؟!

وقد أُطلق على هؤلاء المتكلمين المتناقضين المضطربين المتهوّكين من الأشاعرة: أنهم «خلَف» يقابلون بهذا اللقب لقباً كريماً آخر أُطلق على صفوة الأمة الإسلامية من الصحابة والتابعين فقد لُقِّب هؤلاء «بالسلف».

ونجم بين الأمة الإسلامية من حاول أن يقطع أسبابها بماضيها المقدس المجيد، وأن يحملها على التنكر لما كان يعتقده الرسولﷺ في ربه ، فراح يزعم أن الخلف ـ وهم هؤلاء الذين اضطربت عقائدهم ـ خير من السلف !! أو أن عقيدة السلف أسلم .. أما عقيدة الخلف فهي الأعلم والأحكم!!

ليت شعري ماذا لهؤلاء الخلف من بينة ؟ وما لهم من دليل سليم يستدل به على وجود الله ووحدانيته .هذا لأنهم بنوا أدلتهم على أوهام وترّهات سموها: «مسلّمات» وهي في حكم العقل الرشيد والتجربة العلمية «مُخرَّفات» ثم هم يطعن بعضهم في أدلة بعض ويرميها عن بينة ـ بأنها لا تقنع أحداً بأن الله واحد ، أو موجود!! فإذا شهدت «الخلفيّة» بعجزها عن إقامة الدليل على وجود الله ووحدانيته، وأنه هو الخالق . فماذا بقي لها من قدرة ، أو ماذا بقي

لها من يقين ودين ، وهي لا تستطيع البرهنة على وجود الله ؟!

ورغم وضوح هذا فإننا نرى النشوة الغامرة الساحرة تسيطر على هؤلاء الخلفيين حين يقرؤون تفاهة من جدل الباطل في كتاب من كتب أئمتهم، على حين ترى حقد الكراهية يطمس هذه الوجوه نفسها حين تتلو عليها دليلاً من القرآن كأنما كتاب الله لا يهدي للتي هي أقوم وكأنما جدل الضلالة من علم الكلام أهدى وأقوم قيلاً من كتاب الله !! أو كأنما «الرازي» وأضرابه أعلم من الله ورسوله !!.

الرأي في علم الكلام: وإليك رأي الأئمة في بدعة «علم الكلام» يقول ابن عساكر في «تبيين كذب المفتري» :« وقد حُفظ عن غير واحد من علماء الإسلام عيب المتكلمين، وذم الكلام، ولو لم يذمهم غير الشافعي رحمه الله لكفى، فإنه قد بالغ في ذمهم، وأوضح حالهم وشفى» ثم ذكر بعض أقوال الشافعي مثل قوله «ما تردّى أحد في الكلام ، فأفلح ، ولأن يُبْتلَى المرء بكل ما نهى الله عنه سوى الشرك خير له من الكلام، ولقد اطّلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننت أن مسلماً يقول ذلك»، كما ذكر قول الشعبي : «من طلب الدين بالكلام تزندق»(١) وإليك ما حكم به الشافعي على علماء الكلام: «حكمي في أهل الكلام أن يُضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة (٢)» أمّا ابن تيمية فيقول: «وأهل البدع من أهل الكلام والفلسفة ونحوهم فهم لم يُثبتوا الحق، بل أصّلوا أصولاً تناقض الحق ، فلم يكفهم أنهم لم يهتدوا، ولم يدلّوا على الحق ، حتى أصلوا أصولاً تناقض الحق ، ورأوا أنها تناقض ما جاء به الرسول ﷺ فقدموها

(١) ص ٣٣٣ وما بعدها تبيين كذب المفتري.
(٢) ص ٤٦٨ جـ/١ مجموعة الرسائل الكبرى .

على ما جاء به الرسول [1] «ثم وصفهم وصفاً بليغاً دقيقاً فقال : «أوتوا ذكاءً، وما أوتوا زكاءً، وأُعطوا فهوماً وما أُعطوا علوماً، وأُعطوا سمعاً وأبصاراً وأفئدة ﴿**فما أغنى عنهم سمعهم، ولا أبصارهم، ولا أفئدتهم من شيء، إذ كانوا يجحدون بآيات الله ، وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون**﴾[2]

وقال مالك كلمة محكمة عن المتلكم : «أرأيت إن جاءه من هو أجدل منه أيدع دينه كل يوم لدين جديد»؟! وهي كلمة تدل على حقيقة ما يتردّى فيه المتكلم دائماً من قلق، وحيرة، واضطراب، وتناقض، والخروج كل يوم من دين إلى دين، والغزالي نفسه ـ رغم أنه أجدل أشعري يقول عن علم الكلام: «لم يكن الكلام في حقي كافياً، ولا لدائي الذي كنت أشكوه شافياً. لم يحصل منه ما يمحو بالكلية ظلمات الحيرة في اختلافات الخلق»[3].

ويقول الدكتور محمود قاسم عن علماء الكلام جميعاً : «إنهم لم يُوفَّقوا في الكشف عن الأدلة البرهانية التي احتوى عليها كتاب الله ، إنما جنحوا إلى استخدام أدلة أخرى عليها مسحة غالبة من الجدل الكريه الذي نصفه هذا الوصف، لأنه يثير من الشكوك أكثر مما يدعو إلى الإقناع» ثم عرض لأشهر أدلتهم الجدلية ، وهما دليلا الجوهر الفرد ودليل الممكن والواجب ، وبيَّن تهافتهما ، ثم قال : «إن مشكلة البرهنة على وجود الله لأكثر يُسراً من أن يتخيل المتكلمون لحلها طريقة الجوهر الفرد ، ولو رجع هؤلاء إلى المصدر

(١) ص ٣٦٠ مجموعة تفسير شيخ الإسلام.

(٢) ص ٤٦٨ جـ ١ المصدر السابق.

(٣) ص ٦٠ المنقذ من الضلال نشر الأنجلو، ويقول الغزالي في رسالته فيصل التفرقة « الإيمان المستفاد من الدليل الكلامي ضعيف جداً مشرف على الزوال بكل شبهة. بل الإيمان الراسخ إيمان العوام الحاصل في قلوبهم في الصبا بتواتر السماع» ص ٩٩ من الجواهر الغوالي. وبهذا القول قضى الغزالي على كل أشعري: أو على الخلف جميعاً فهل يؤمن الخلف لأن الغزالي قال هذا ؟!

الأول لدينهم أي إلى القرآن لوجدوا في أدلته غناء» ويقول أيضاً عن منهج المتكلمين أشاعرة ومعتزلة: «كان منهجهم منهجاً واهياً، لأنه منهج جدل لا منهج إقناع: ولهذا فهولا يصلح ـ في الحقيقة ـ لا للعلماء ، ولا للعامة ، بل هو أعجز عن أن يقنع المتكلمين أنفسهم. إن طرق المتكلمين في البرهنة على العقائد الإسلامية تثير من الشبه أكثر مما تدعو إلى الإقناع»[1].

أما ابن رشد فيقول بعد ذكر قوله تعالى: ﴿ **فأما الذين في قلوبهمْ زيغٌ فيتّبعون ما تشابهَ منه ابتغاءَ الفتنةِ وابتغاءَ تأويله** ﴾.[2]

« وهؤلاء هم أهل الجدل والكلام، وأشد ما عرض على الشريعة من هذا الصنف أنهم تأولوا كثيراً مما ظنوه ليس على ظاهره، وقالوا : إن هذا التأويل ليس هو المقصود به ، وإنما أتى الله به في صورة المتشابه ابتلاءً لعباده، واختباراً لهم، ونعوذ بالله من هذا الظن بالله ، بل نقول : إن كتاب الله العزيز إنما جاء معجزاً من جهة الوضوح والبيان، فإذا ما أبعد مِن مقصد الشرع مَن قال فيما ليس بمتشابه : إنه متشابه ، ثم إنه أوّل ذلك المتشابه بزعمه، وقال لجميع الناس: إن فرضكم هو اعتقاد هذا التأويل ، مثل ماقالوه في آية الاستواء على العرش، وغير ذلك مما قالوه : إن ظاهره متشابه ، وبالجملة فأكثر التأويلات التي زعم القائلون بها أنها المقصود من الشرع إذا تُؤُوِّلت وجدت ليس يقوم عليها برهان»[3]

حيرة المتكلمين: وفي كلمة الدكتور قاسم[4] حقيقتان بارزتان يؤيدهما

(١) من مقدمة الدكتور لكتاب مناهج الأدلة.

(٢) سورة آل عمران: ٧.

(٣) ص ١٨٠ مناهج الأدلة نشر الأنجلو.

(٤) الذي قاله الدكتور عين ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية فقد أثبت في غير موضع من كتبه تهافت أدلة الفلاسفة والكلاميين بما لا يقبل جدلاً ولا شكاً من ناصع الحجج.

تاريخ هؤلاء المتكلمين ، والنظر في تراثهم الجدلي . أما الحقيقة الأولى فتؤكد أن جدل الكلاميين لم يستطع أن يبث أثارة من اليقين في نفوس أصحابه أنفسهم ، وأما الحقيقة الأخرى فتثبت أن جدل هؤلاء الخلف يثير الشبه، ولا يُسْلِم إلى إقناع.

ويكفينا في البرهنة على ثبوت الحقيقتين رجوع كثير من هؤلاء المتكلمين أنفسهم عن طريقتهم، وبراءتهم إلى الله منها، وتمجيدهم لطريقة السلف ، بل يكفينا أن نقرأ ما خلفوا !! ولو أن كتب هؤلاء الكلاميين كانت تورِّث يقيناً ، أو تدعو إلى هدى لكان حال الأمم الإسلامية، اليوم غير ما هي عليه !! وما احتاجت إلى من يذكرها بأصول الإسلام فإن لدينا من تلاميذ الأشاعرة ألوفَ ألوفٍ قد درسوا كتب الأشاعرة دراسة وافية مستوعبة، حتى لتراهم خبيرين بمواضع الحروف القلقة الطبع من صفحات هذه الكتب المعتقة !! غير أنك لا ترى فيما يتكلمون به عن دينهم إلا خلطاً، وأمشاجاً من حيرة وشك وضلالة، وإنك لتراهم أيضاً يهربون من شبابنا حين يسألونهم إزالة شبهة، أو دليلاً إلى حق، لأن هؤلاء الشيوخ هم أنفسهم نهب الشبهات، وأحلاس الزيغ والتقليد بل هم في شك مريب، وأمر مريج!! فظفرت الإلحادية ـ شيوعيةً ، أو وجودية، أو بهائية أو صوفية ـ بكثير من شبابنا الذين ظنوا أن ديننا هو هذا الدين الذي يعتنقه هؤلاء الخلفيون ، أو هو هذا المبثوث في كتب علم الكلام وكتب العصبية المذهبية في الفقه، وكتب التصوف. وهذه هي الجريمة الملعونة التي اقترفها هذا التراث الملعون.

منهجنا: منذ أكثر من ربع قرن قامت جماعة «أنصار السنة المحمدية» على يد منشئها ورائدها الشيخ الجليل والدنا «محمد حامد الفقي» رحمه الله، وأجزل له المثوبة كفاء ماصبر وصابر، وجاهد مخلصاً في سبيل الله، وما قامت

إلا لتدعو إلى الله على بصيرة من الدين الحق وتحث المسلمين جميعاً ـ في حب وصدق وإخلاص ـ على أن ينيبوا إلى ربهم وإلى كتاب ربهم ، وسنة رسولهم، ليعود إليهم وطنهم الواحد، وأمتهم الواحدة بالدين الواحد والشريعة الواحدة.

قامت تدعو إلى الإيمان كما آمن رسول الله ﷺ والبررة الأوفياء من أصحابه، والتابعين لهم بإحسان، قامت تذكر المسلمين بأنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها وتُبيِّن لهم ـ ما استطاعت ـ السبيل إلى ذلك مهتدية بالقرآن مقتدية برسول القرآن محمد ﷺ ، وجاش شرقنا بدعوة الحق وتجاوبت بها النفوس الطيبة فكان أن حشد دعاة «الخَلَفِيَّة» ومن ورائهم الصوفية كل ما بهت به الباطل نور الحق، واتهم به الضلال إشراقة الهدى ، ثم رموا به في وجه «أنصار السنة المحمدية » !!

بهتان: وكان أخس بهتان أثيم ملعون اقترفوه وهو أننا ـ نحن المسلمين ـ نبغي على الله ، فنزعم أنه سبحانه يماثل خلقه في ذاته وصفاته ، وكان لابد لنا من أن نبحث عن الأسباب التي من أجلها رمانا هؤلاء المفترون بهذا البهتان الذي يعترف في صراحة بأنه وقاحة بهتان! وإذا بهذه الأسباب كلها تنحصر في أننا نؤمن إيماناً صادقاً بالآيات المحكمات التي أنزلها الله على خاتم رسله يخبرنا فيها عن أسمائه وصفاته ـ سبحانه ـ ونعتقد في أن قول الله عن صفاته وأسمائه هو القول الفصل ، وفي أنه هو الخبير بما يقول ، الحكيم فيما يصف ويسمِّي !! هذا ذنبنا عند هؤلاء «الخلفية» وأحبب به من ذنب !!

وقلنا لهم : لماذا تنقمون منا إيماننا بأن الرحمن قد استوى على عرشه ؟ فقالوا لأن العقل يحيل وصف الله بذلك !!

بالعدوان الباطل العِربيد على الحقيقة المشرقة المقدسة من القرآن !! المخلوق

يبهت الخلاّق ، فيزعم أنه وصف نفسه بما يستحيل، وأخبر عنها بما لا يجوز، وقال عنها مالا يصح أن يقال !!

العقل في تمرده الجاحد الحاقد يتهم الوحي بالعِيِّ، والقصور في البيان والبلاغ!!

هذيان «الخلفية» وترَّهاتها الجدلية ، وخرف مسَّها من الفلسفة كل هذا تحشده الخلفية ثم تقذف به مسعورة الأحقاد في وجه الوحي الإلهي !! وتزعم أنها أقوم من الله قيلاً وأصدق حديثاً!!

لست أدرى كيف يزعم هؤلاء أنهم مسلمون ، وهم يدينون بأن أفَنَ الكلام «الرازي أو النسفي أو الإيجي» أسمى من كلام الله وأحكم ؟ كيف نبيح لأنفسنا أن نزعم أننا قادرون على أن نقيم من العقل ـ وهو المخلوق ـ قيِّماً على الخلاق ؟ وفيم ؟ في صفات الخلاق وأسمائه.؟!

العقل الذي يسيطر عليه سحر الكلمة، فيفتنه عن الحق ، أو غيّ الشهوة، فيستعبده للهوى يزعم أنه يستطيع أن يهيمن على الله الذي يهيمن بمشيئته وقدرته على كل شيء !!

ترى، هل منّ الله علينا بنعمة العقل ، لنجعل منها وسيلة إلى الجحود به سبحانه ، وإلى التمرد على الله ، وإلى سبه وشتمه؟! ثم أي فرق بين عمل هؤلاء وعمل الشيطان حينما رفض أن يطيع أمر الله بالسجود لآدم ؟ إن الشبهة عين الشبهة والخطيئة عين الخطيئة !!

كما تلونا قول الله: ﴿ **ما منعك أن تسجد لما خلقت بِيَدَيَّ**﴾(١) قلنا : آمنا يارب بأن لك يدين خلقت بهما عبدك آدم !! فتهفو «الخلفية» صائحة :

(١) سورة ص :٧٥ .

تجسيم ! تجسيم !! وفي صيحتها رجفة حقدها الطاغي على هدى الله !! كما يهفو إلينا من يقول : أتؤمنون بأن لله يدين ؟ فنقول في يقين وإيمان: نعم، كما قال ربنا الله. فيقول: إن قلتم بأن له يدين، فإنه يلزمكم كذا، وكذا، وكذا! ويظل الخلفي يلوك بشدقية لوازم ولوازم للوازم، ولوازم للوازم اللوازم، ثم يرمي بها في وجوهنا ، كما علمته كتب الخلفية !!

يا هؤلاء !! احذروا، ثم احذروا!! فإنكم باتهامنا بالتجسيم. إنما تتهمون الله ـ سبحانه ـ بهذا السوء، وتبهتونه بأنه ـ جل شأنه ـ قد أرهقه القصور والعجز المشين عن بيان الحق والصواب في أصل الدين وقوامه ، كما تبهتونه بأنه يطلب من عباده أن يدعوه، ويصفوه بما ليس له معنى !! أو بأنه كلفهم المستحيل ، إذ أوجب عليهم الإيمان بآيات من القرآن يحرم ويستحيل الأخذ بظاهرها ومعناها، ويجب صرفها عنه إلى معنى آخر، دون أن يُنزِّل على رسوله ما يهدي إلى مراده، فإننا لانجد في الكتاب والسنة ما يحرم الأخذ بالظاهر، أو يوجب التأويل بالمعنى الكلامي، وإنما نجد فيه نقيض ما تفترون.

إن تلك اللوازم التي تقولونه لا تلزمنا نحن، إنما تلزم من أخبرنا بهذه الصفات والأسماء، وما أخبرنا إلا الله ورسوله !!

فهل تستطيعون أن تقولوا لله ، ولرسوله ما تقولونه لنا ؟!

أتستطيعون أن تقولوا لله كما تقولون لنا : يلزمك ـ وقد قلت في كتابك أن لك يدين ـ القول بأن لك جارحة، وغير هذا مما تمجّه أشداق أضغانكم؟ ما أظنكم تجرؤون على الجهر بها ، وإن كنتم تقولونها فعلاً !!.

ثم إني أسألكم : ألم يكن الله على بينة من هذه اللوازم حين وصف نفسه بما وصف ؟! أتجرؤون على اتهامه ـ سبحانه ـ بأنه كان يجهلها؟! وأسألكم أيضاً : ألا تؤمنون بأنكم سترون الله يوم القيامة؟!

بلى: تؤمنون بهذا إذن، فقولوا لنا : كيف ؟؟!

إن جهلكم بكيفية الرؤية لم يمنعكم من الإيمان بالرؤية ، فلماذا يمنعكم الجهل بكيفيات الصفات الخبرية من الإيمان بالاستواء والوجه واليدين ؟!! إنه لجحود وعناد الحقد !!

ثم إنكم تؤمنون بصفة العلم، وبصفة الحياة ووجود العلم يتوقف على وجود المعلوم، والحياة التي نعرفها لا تقوم إلا بالأجسام، فهل علم الله وحياته كذلك ؟ كلا، ونقول معكم في قوة الإيمان: كلا ستقولون علم الله ليس كعلمنا ، وحياته ليست كحياتنا. فلماذا [لا] تقولون هذا هنا ، وتكفرون به عند القول بالاستواء ؟ إنه التقليد الجاحد، والهوى الحاقد وكراهيتكم للسلفية التقية المشرقة الصفاء من جلال الإيمان.

لا تتهمونا نحن بالتجسيم، بل اتهموا ـ إذا أصررتم على الجحود ـ سلف هذه الأمة الذين أنذر الله من يتنكب سبيلهم بجهنم وسوء المصير ، وذلك في قوله :﴿ **ومن يشاققِ الرسولَ من بعدِ ما تبين له الهدى ويتّبعْ غيرَ سبيلِ المؤمنين نولّه ما تولى ونُصلِه جهنمَ وساءت مصيراً** ﴾.(١)

اتّهِموا السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، فقد كانوا يؤمنون بصفات الله وأسمائه.

اتّهِموا الذين بايعوا الله ورسوله تحت الشجرة، فقد كانوا يؤمنون بصفات الله وأسمائه.

بل اتهموا رسول اللهﷺ فإنه هو الذي أخبرنا بوحي من ربه: أن الله ينزل، ويجيء، ويفرح بتوبة عبده! بل اتّهِموا !! ماذا أقول ؟!

(١) سورة النساء: ١١٥

إن الله هو الذي أخبرنا بأن له يدين ووجهاً، وأنه استوى على عرشه ، وأنه يغضب ، ويرضى، ويمكر بأعدائه، ويكيد لهم كيداً متيناً !!

لا تجعلونا دريئة تسترون بها ، وأنتم تحاربون الله ورسوله ، فما افترينا له سبحانه ـ صفة أو اسماً كما افتريتم، وإنما آمنا بما وصف به نفسه، فوصفناه بهذه الصفات نفسها ، وآمنا بما سمى به نفسه ، فدعوناه ـ جل شأنه ـ بهذه الأسماء ومعاذ الله أن نزعم أو نقول إن صفاته كصفات خلقه ، لأننا نؤمن بقوله تعالى : ﴿ **ليس كمثله شيءٌ وهو السميعُ البصيرُ** ﴾ (١) أونقول : إنه ينزل من السماء كنزولنا (٢) معاذ الله !! إنه لبهتان أثيم !!

لا تسبوا «أنصارالسنة المحمدية» لأنهم يصفون الله بصفاته مخافة أن يظن بكم الناس أن غايتكم هي سبُّ الله بيْدَ أنكم تسترون بسبّنا !! لا حيلة لكم يا هؤلاء !! فإما أن تؤمنوا بأن الله هو الذي نَزَّل هذه الآيات التي أخبر فيها بأنه استوى على عرشه ، وبأنه يجيء يوم القيامة، وبأن له نفساً ووجهاً، ويدين وإما أن تكفروا، وتبهتوه ـ سبحانه ـ بالعِيِّ والجهل في البيان، فإن آمنتم بأن الله هو مُنزِّل هذه الآيات، فلا مفر لكم من الرجوع على أنفسكم باللائمة، لأنكم اتهمتم الله بالتجسيم حين اتهمتم «أنصار السنة المحمدية» بهذا السوء من القول!

(١) سورة الشورى : ١١ .

(٢) أنص على هذا، فإن كثيراً من الباغين الذين لا يتقون الله أقسموا بالطلاق أنهم سمعوا من الرائد الجليل ـ يرحمه الله ـ الشيخ حامد : إنه قال على المنبر إن الله ينزل من السماء كنزولي هذا ، ثم نزل درجتين ، ثم اتهموني أيضاً بهذا وأنا أخطب في مسجد الهدارة !! ومن قبل افترى هذه التهمة الرحالة الصوفي ابن بطوطة ورمى بها الإمام ابن تيمية، وقد أثبتنا أن ابن بطوطة كاذب لسبب بسيط هو أنه دخل دمشق والإمام سجين وهو يزعم أنه سمع بأذنه ذلك من ابن تيمية، وهو يخطب!! فالفرية إذن ـ رمّة بالية الأكفان !!.

نحن ـ والله الذي نعرف قيمة القسم به ، ولا نحلف إلا به ـ لا ندعو إلى تمثيل، أو تجسيم، إنما ندعو إلى الإيمان بالرب الذي دُعِينا إلى عبادته في القرآن، ومعرفته بصفاته وأسمائه التي ذكرها ـ جل شأنه ـ وذكرها رسولهُ محمد ﷺ هذا هو الرب الذي ندعو إلى الإيمان به، وهو الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور.

أما الرب الذي صنعته الخيالات ، وابتدعته الأوهام ، وصورته الأهواء فنحن أول الكافرين به .

إن هذا المعبود المصنوع المترنِّح بين العدمية والصنمية أهون على الحق من أن نبذل جهداً في تحطيمه، وسنتركه لكم فاعبدوه ما شئتم وضعوا ما زين لكم الهوى من صفات وأسماء !! ولكن احذروا، ثم احذروا!!

احذروا أن تقولوا عن هذا المعبود الذي صنعته أساطير ألسنة السوء: إنه الله !! ولئن فعلتم ، وأصررتم فسنرجمكم بكل لعنة فما نرضى ـ وما يرضى مسلم ـ أن يقال عن الله ـ سبحانه ـ إلا الحق الذي تكلم به هو ، أو تكلم به رسولهﷺ.

إننا نخوض معركتنا الكبرى ضد الصليبية والصهيونية، ونحن أحوج ما نكون إلى أن يمدنا الله بالعون في هذه المعركة الحاسمة فمن ندعو يا تُرى؟

أندعو الرب الذي تصوره الفلسفة ، وهو عدم لا اسم له ، ولا صفة ؟! أم الرب الذي تصوره الصوفية وهو نفس أولئك الصهيونيين وأولئك الصليبيين؟! أليس الإله الصوفي ـ كما يقول صانعوه ـ عين كل شيء ؟ لقد قال ابن عربي شيخ الصوفية الأكبر عن فرعون : إنه هو الله !! وقال الجيلي عن إبليس : إنه هو الله [1] !! فلِمَ لا يكون هؤلاء الأبالسة من الاستعماريين كذلك أيضاً عند الصوفية ؟؟

أم ندعو الرب الذي يصوره علم الكلام، وهو رب قلق تكسوه أحياناً نضرة الوجود، وأحياناً صفرة العدم، ويثبت هؤلاء ما ينفيه عنه أولئك و ينفي عنه قوم ما يثبته له آخرون، ويترنح بين البقاء والفناء ؟!! إنما ندعو رب محمد ﷺ الذي أرسله ونصره، ونصر أصحابه في معاركهم ضد المجوسية والصليبية والصهيونية.

هذا ما ينادي به « أنصار السنة» يدعون إلى عبادة رب القرآن، والإيمان برب القرآن، وبأسماء وصفات رب القرآن. وما هي في الفلسفة، ولا في التصوف ، ولا في علم الكلام، وإنما هي في الكتاب والسنة.

هذه النصوص: ولقد رأيت من البر بالحقيقة، ومن الإحسان في الدعوة إلى الله أن أنشر هذه النصوص الوفيرة لأئمة الأشاعرة، بل لأعظم أئمتها وهم: « أبو الحسن الأشعري إمام الأشاعرة الأول ، والباقلاني ، والجويني، وابن فورك ، والرازي ، والغزالي» وسيرى أولئك الذين أضلتهم فتنة الخلفية أن أئمة الأشاعرة قد اعترفوا اعترافاً صريحاً كاملاً بأن طريقة السلف هي الأسلم، وبأنها هي الأعلم، وبأنها هي الأحكم.

وبأن طريقة الخلف حيرة وشك وضلالة أوهام!!

وإني لأرجو أن يحمل هذا بعض الذين يحسنون الظن (بالخلفية) على الرجوع إلى الإيمان الصحيح ، وعلى أن يكسروا من حدة غلوائهم في اتهامنا بالتمثيل ، بالتجسيم، وعلى أن يؤمنوا أن خَلَف الأشاعرة لا تصلهم رحم ما

(١) اقرأ النصوص الوفيرة في هذا، في كتابي « هذه هي الصوفية» وكتابي « مصرع التصوف» ورسالة زندقة الجيلي.

بسلف الأشاعرة، فقد عاش أبو الحسن ـ بعد توبته ـ يؤكد في كل كتاب له أنه على عقيدة سلف هذه الأمة، أما متأخرو الأشاعرة، فقد لُقِّبوا بأنهم «مخانيث الجهمية والمعتزلة» لأنهم أوغلوا في التأويل إيغالاً أدى بهم إلى التعطيل !!

فليتدبر الذين يزعمون أنهم أشاعرة أو خلف، فلعل إشراقة من نور الحق تبدد ما غام على نفوسهم من غيّ الخلفية وفتنتها.

نصيحة من القلب: وليتدبر أولئك الإخوان الذين نشهد لكثير منهم بحسن القصد والسعي في سبيل الخير والحق فثمّت فيهم مَن يُدين بالخلفية الجهمية، ويفتي بها غير مقتصد ، ولا مستدل بكتاب ، أو سنة !!

وينكر أن الله استوى على عرشه ، وأن له يدين، وأن له وجهاً، ويقترف تفسيراً كله زيغ وضلالة وإفك قديم لكل آية أخبر الله فيها عن استوائه ويديه ووجهه ـ سبحانه !!

فهل هذه الخلفية هي «السنة» التي يزعم هؤلاء المفتون أنهم يؤمنون بها، يعملون بها ، ويجاهدون في سبيل أن يجعلها المسلمون لهم منهاجاً وسبيلاً إلى الله !

لا أظن أنهم يجرؤون على اقتراف هذا الزعم ، فما نجمت الخلفية إلا بعد قرون!! ولا أظن أنهم يجرؤون على اتهام الصحابة والتابعين بأنهم لم يكونوا على بينة من دينهم، وبأن «الرازي وأضرابه» كانوا أبر بكتاب الله من أبي بكر وعمر!! أو كانوا أسلم وأحكم وأعلم، وأعظم فهماً للكتاب من صفوة هذه الأمة!!.

إن من يؤكد للناس أنه «عامل بالكتاب والسنة» يجب عليه أن يكون هو القدوة الحسنة في ذلك ، فيعتقد في الله ـ سبحانه ـ ما كان يعتقده خير العاملين

بالكتاب والسنة ، رسول الكتاب والسنة ، أما أن يعتقد فيه ما كان يعتقده «الرازي» مثلاً ، فهو بهذا يناقض ما يدعيه، ويثبت أنه عامل «بالرازي» لا بالكتاب والسنة !!

تُرى هل ظلت الأمة كلها أربعة قرون جاهلة بمراد الله ، ضالة عن معرفته حتى ظهر أمثال «الرازي» فدل هذه الأمة على دينها ؟!

مقارنة بين السلف والخلف : ليتدبر هؤلاء ما يجنونه على أنفسهم، وعلى الناس ، وعلى الكتاب وعلى السنة، وليسمعوا هذه الكلمة الحسنى من الإمام الجليل ابن تيمية : «إن كثيراً من المتأخرين لم يصيروا يعتمدون في دينهم لا على القرآن ولا على الإيمان ، الذي جاء به الرسول بخلاف السلف، فلهذا كان السلف أكمل علماً وإيماناً ،وخطؤهم أخف ، وصوابهم أكثر، وكان الأصل الذي أسسوه هو ما أمرهم الله به في قوله: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تُقدِّموا بين يديّ الله ورسوله واتّقوا اللهَ إنّ اللهَ سميعٌ عليمٌ**﴾(١)

ثم قال عن ملائكة الله: « وصفهم سبحانه بأنهم لا يسبقونه بالقول وأنهم بأمره يعملون، فلا يخبرون عن شيء من صفاته، ولا غير صفاته إلا بعد أن يخبر ـ سبحانه ـ بما يخبر به، فيكون خبرهم وقولهم تبعاً لخبره (وقوله) وقد أمر الله المؤمنين أن يكونوا مع الله ورسوله كذلك ، فإن البشر لم يسمعوا كلام الله منه، بل بينهم وبينه رسول من البشر، فعليهم ألا يقولوا حتى يقول الرسول ما بَلَّغهم عن الله،ولا يعملوا إلا بما أمرهم به.

فعلى كل مؤمن ألا يتكلم في شيء من الدين إلا تبعاً لما جاء به الرسول، ولا يتقدم بين يديه ، بل ينظر ماقال، فيكون قوله تبعاً لقوله، وعلمه تبعاً لأمره، فهكذا كان الصحابة، ومن سلك سبيلهم من التابعين لهم بإحسان وأئمة

(١) سورة الحجرات: ١ .

المسلمين، فلهذا لم يكن أحد منهم يعارض النصوص بمعقوله ، ولا يؤسس ديناً غير ما جاء به الرسول، وإذا أراد معرفة شيء من الدين والكلام فيه نظر فيما قاله الله والرسول، فمنه يتعلم، وبه يتكلم، وفيه ينظر، ويتفكر، وبه يستدل، فهذا أصل أهل السنة.

وأهل البدع لا يجعلون اعتمادهم في الباطن ونفس الأمر على ما تلقوه عن الرسول، بل على ما رووه، أو ذاقوه ثم إن وجدوا السنة توافقه [1] وإلا لم يبالوا بذلك، فإذا وجدوها تخالفه أعرضوا عنها تفويضاً ، أو حرفوها تأويلاً.

فهذا هو الفرقان بين أهل الإيمان والسنة، وأهل النفاق والبدعة» [2] كلمة ترفٌّ طيباً وإخلاصاً وتتلألأ بإشراق الإيمان والحق ، فليتدبرها الموغلون في التيه، لعلهم يلمحون نور الفجر».

هذا وقد ألحقنا بآخر الرسالة بعض ترجمات موجزة لأئمة الأشاعرة الذين ذكرنا آراءهم في هذه الرسالة ولبعض الفرق التي ورد ذكرها ، وبيان موجز عن علم الكلام وغيره.

وإني لأضرع إلى الله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به ، إنه سميع مجيب .

عبد الرحمن الوكيل

الرئيس العام لجماعات السنة المحمدية

١٠ من جمادي الآخرة سنة ١٣٨١ هـ

١٨ من نوفمبر سنة ١٩٦١م

(١) هنا كلام محذوف يُفهم من السياق وهو جواب الشرط وتقدير القول : «إن وجدوا السنة توافقه أخذوا بها» فهم يجعلون رأيهم هو الأصل أما السنة فتبع.

(٢) ص ٤٥، وما بعدها جـ ١ مجموعة الرسائل الكبرى.

عقيدة أبي الحسن الأشعري

هجومه على المعتزلة والقدرية: يقول إمام الأشاعرة الأول : «إن كثيراً من الزائغين عن الحق من المعتزلة ، وأهل القدر مالت بهم أهواؤهم إلى تقليد رؤسائهم، ومن مضى من أسلافهم فتأولوا من القرآن على آرائهم تأويلاً لم يُنزِّل الله به سلطاناً، ولا أوضح به برهاناً، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين، ولا عن السلف المتقدمين ، فخالفوا روايات الصحابة - عليهم السلام - عن نبي الله صلوات الله عليه وسلامه - في رؤية الله - عز وجل - بالأبصار.

ودفعوا أن يكون لله وجه مع قوله عز وجل : ﴿ **ويبقى وجهُ ربّك ذو الجلالِ والإكرامِ** ﴾ [1] وأنكروا أن يكون له يدان مع قوله: ﴿ **لما خلقتُ بيدَيّ** ﴾[2] وأنكروا أن يكون له عين مع قوله :﴿ **تجري بأعيننا**﴾[3] ولقوله : ﴿ **ولتُصنعَ على عيني** ﴾[4] ونفوا ما رُوي عن النبيﷺ : «**إن الله عز وجل ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا**» وغير ذلك مما رواه الثقاة عن رسول اللهﷺ».

عقيدة أهل الحق والسنة: حكم أبو الحسن بزيغ هؤلاء جميعاً عن الحق، ثم هفا في حماسة وقوة يُبيِّن عقيدة أهل الحق و السنة، ليبني بعد أن هدم، فقال : «فإن قال لنا قائل : قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية الجهمية والحرورية

(١) سورة الرحمن: ٢٧.

(٢) سورة ص : ٧٥ .

(٣) سورة القمر: ١٤.

(٤) سورة طه : ٣٩ .

والرافضة والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون؟

قيل له : قولنا الذي نقول به ، وديانتنا التي ندين بها : التمسك بكتاب ربنا - عز وجل - ، وبسنة نبينا ﷺ ، وما رُوي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبوعبد الله أحمد بن محمد بن حنبل [1] - نضّر الله وجهه ، ورفع درجته، وأجزل مثوبته - قائلون».

«**وجملة قولنا** : إننا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله، وما جاء من عند الله، وما رواه الثقاة عن رسول الله ﷺ «ثم قال» : وأن الله استوى على عرشه كما قال: ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾[2] وأن له وجهاً كما قال : ﴿**ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾ [3]وأن له يدين بلا كيف ، كما قال : ﴿**ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي**﴾ [4] وكما قال :﴿ **بل يداه مبسوطتان**﴾ [5] وأن له عيناً بلا كيف كما قال : ﴿**تجري بأعيننا** ﴾.[6]»

«وندين بأنه يقلب القلوب ، وأن القلوب بين أصبعين من أصابع الله - عز وجل - [7]، وأنه - عز وجل - يضع السموات على أصبع، والأرضين على أصبع [8] كما جاءت الرواية عن رسول الله ﷺ، ونصدق بجميع الروايات التي يثبتها أهل النقل من النزول إلى السماء الدنيا، وأن الرب - عز وجل - يقول : هل من سائل؟ هل من مستغفر؟ [9].

---

(١) الإمام الكبير شيخ أهل السنة والحديث وقد تُوفي سنة ٢٤١ هـ.
(٢) سورة طه: ٥. (٣) سورة الرحمن: ٢٧. (٤) سورة ص : ٧٥.
(٥) سورة المائدة: ٦٤. (٦) سورة القمر : ١٤.
(٧) معنى حديث رواه مسلم (٢٦٥٤) وأحمد (١٦٨/٢) عن عبد الله بن عمرو .
(٨) معنى حديث رواه البخاري (٧٤١٤) ومسلم (٢٧٨٦) عن عبد الله بن مسعود .
(٩) ورد في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي : **«ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الأخير ، فيقول : من يدعوني ، فاستجيب له؟ من يسالني فاعطيه؟ من يستغفرني، فاغفر له».**

ونقول : إن الله - عز وجل - يجيء يوم القيامة، كما قال : ﴿ **وجاء ربك والملك صفاً صفاً** ﴾ [1] وأن الله - عز وجل - يقرب من عباده كيف شاء ، كما قال : ﴿ **ونحن أقرب إليه من حبل الوريد** ﴾[2] وكما قال : ﴿ **ثم دنا فتدلى* فكان قاب قوسين أو أدنى** ﴾[3] [4]».

الاستواء وأدلته: وأبى إمام الأشاعرة الكبير إلا أن يؤكد حسن اعتقاده، فلم يكتف بالقول بهذا، وإنما راح يقيم الأدلة القوية على وجوب الإيمان بأن الله في السماء مستو على عرشه، وإليك قوله:

«فإن قال قائل : ما تقولون في الاستواء ؟ قيل له: نقول: إن الله - عز وجل - مُستوٍ على عرشه كما قال : ﴿ **الرحمن على العرش استوى**﴾[5] وقد قال الله - عز وجل -: ﴿ **إليه يصعد الكلم الطيب**﴾ [6] وقال :﴿**بل رفعه الله إليه**﴾[7] وقال - عز وجل - : ﴿ **يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه**﴾[8] وقال حكاية عن فرعون :﴿ **ياهامان ابنِ لي صرحاً لعلّي أبلغ الأسبابَ * أسبابَ السمواتِ فأطّلعَ إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً**﴾[9] فكذب فرعون نبي الله موسى عليه السلام في قوله: إن الله - عز وجل - فوق السموات [10] وقال - عز وجل - : ﴿ **أأمِنْتُم مَن في**

---

(١) سورة الفجر: ١٤. (٢) سورة ق :٢٢.
(٣) ترى أم المؤمنين عائشة وابن مسعود وأبو ذر وأبو هريرة أن الذي دنا وتدلى هو جبريل عليه السلام. وسياق الآيات حجة لهذا الفهم الدقيق
(٤) سورة النجم الآيتان : ٨، ٩. (٥) سورة طه: ٥ .
(٦) سورة فاطر: ١٠. (٧) سورة النساء: ١٥٨.
(٨) سورة السجدة: ٥. (٩) غافر الآيتان: ٣٦.٣٧.
(١٠) ومعنى هذا أن من ينكرون استواء الله على عرشه إنما يأخذون بطرف من دين فرعون، والعجيب أن فرعون قال: أظنه كاذباً أما تلاميذه اليوم، فيقولون: نوقن أنه كاذب وأنكم كاذبون.

السماء أن يخسف بكم الأرض ﴾[1] فالسموات فوقها العرش ، فلما كان العرش فوق السموات، قال:﴿**أأمنتم من في السماء**﴾ لأنه مستو على العرش الذي فوق السموات ـ وكل ما علا، فهو سماء ـ فالعرش أعلى السموات وليس إذا قال: ﴿ **أأمنتم من في السماء**﴾ يعني جميع السموات بالسماء وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السموات، ألا ترى أن الله ـ عز وجل ـ ذكر السموات ، فقال : ﴿**وجعل القمر فيهنّ نوراً** ﴾[2] ولم يرد أن القمر ملؤهن جميعاً ، وأنه فيهن جميعاً، ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم ـ إذا دعوا نحو السماء، لأن الله ـ عز وجل ـ مستو على العرش، الذي هو فوق السموات، فلولا أن اللّه ـ عز وجل ـ على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش، كما لا يَحُطُّونها ـ إذا دعوا إلى الأرض».

«ومما يؤكد أن الله ـ عز وجل ـ مستو على عرشه، دون الأشياء كلها ما نقله أهل الرواية عن رسول الله ﷺ، ثم ذكر أحاديث النزول ثم راح يتابع ذكر أدلة الاستواء ، فقال : « وقال عز وجل: ﴿**وجاء ربك والملك صفاً صفاً** ﴾[3] وقال: ﴿ **هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظُلل من الغمام**﴾[4] وقال : ﴿ **ثم دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى**﴾[5] وقال ـ عز وجل ـ لعيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ :﴿ **إني متوفيك ورافعك إليّ**﴾[6] وقال : ﴿ **وماقتلوه يقيناً * بل رفعه الله إليه**﴾[7] وأجمعت الأمة على أن الله ـ عز وجل ـ رفع عيسى إلى السماء ـ ومن دعاء أهل الإسلام جميعاً ـ إذا هم رغبوا إلى الله ـ عز وجل ـ في الأمر النازل بهم ـ يقولون جميعاً : يا ساكن العرش ،

(١) الملك : ١٦. (٢) نوح: ١٦. (٣) الفجر: ٢٢ .
(٤) سورة البقرة: ٢١٠. (٥) سورة النجم: الآيتان : ٨، ٩ .
(٦) سورة آل عمران: ٥٥ . (٧) سورة النساء الآيتان: ١٥٧، ١٥٨ .

ومن حلفهم جميعاً : لا ، والذي احتجب بسبع سموات !

وروت العلماء أن رجلاً أتى النبيﷺ بأمة سوداء فقال : «يا رسول : إني أريد أن أعتقها في كفارة، فهل يجوز عتقها؟ فقال لها النبيﷺ : «**أين الله؟**» قالت : في السماء قال : «**فمن أنا؟**» قالت: أنت رسول الله، فقال النبيﷺ: «**أعتقها، فإنها مؤمنة** »[1] وهذا يدل على أن الله ـ عز وجل ـ على عرشه فوق السموات ، وقال الله ـ عز وجل ـ : ﴿ **يخافون ربهم من فوقهم**﴾[2] وقال: ﴿ **تعرج الملائكة والروح إليه**﴾[3] وقال :﴿ **ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولي ولا شفيع**﴾.[4] » .

والنتيجة: ثم يعلنها أبو الحسن قوية صريحة واضحة جلية بعد عرض تلك الأدلة، فيقول : «كل ذلك يدل على أنه ـ تعالى ـ في السماء مستو على عرشه، والسماء بإجماع الناس ليست الأرض فدل على أن الله تعالى منفرد بوحدانيته مستو على عرشه».

رفض الأشعري لتأويلات المؤولين للاستواء: أوَّل بعض أئمة الأشاعرة ـ ومنهم إمام الحرمين «الجويني» في الإرشاد ، والرازي في جل كتبه [5] الاستواء بالاستيلاء أو الملك ، أو القهر ، وبهذا التأويل دان خلف الأشاعرة ومتأخروهم، وأوغلوا في الضلالة ، فزعموا أن الله في كل مكان ، أو ليس له مكان، وماذهب إليه هؤلاء المؤولون من الأشاعرة هو عين ما ذهب إليه أولئك الذين لعنهم أبو الحسن الأشعري، ودمغهم بالمروق عن الإسلام !! وإليك قوله : «وقد قال قائلون المعتزلة والجهمية والحرورية: إن قول الله ـ عز

(١) من حديث رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي. وقد روى البخاري ومسلم أيضاً قول النبيﷺ: «**ألا تامنوني و أنا أمين من في السماء ، يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً**».
(٢) سورة النحل: ٥٠ . (٣) سورة المعارج: ٤. (٤) سورة السجدة: ٤.
(٥) كان هذا قبل توبتهما إلى الله من التأويل كما سيأتي. (٦) سورة طه: ٥ .

وجل ـ:﴿ **الرحمن على العرش استوى**﴾[٦] أنه استولى ، وملك ، وقهر، وأن الله ـ عز وجل ـ في كل مكان. وجحدوا أن يكون الله ـ عزّ وجل ـ على عرشه ، كما قال أهل الحق ، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة، ولو كان هذا كما ذكروه، كان لا فرق بين العرش والأرض ، فالله ـ سبحانه ـ قادر عليها وعلى الحشوش، وعلى كل ما في العالم. فلو كان الله مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء وهو ـ عز وجل ـ مستول على الأشياء كلها ـ لكان مستوياً على العرش ، وعلى الأرض وعلى السماء ، وعلى الحشوش والأفراد ، لأنه قادر على الأشياء كلها، ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول : إن الله ـ عزل وجل ـ مستو على الحشوش والأخلية [١] ـ لم يجز أن يكون الاستواء على العرش دون الأشياء كلها، وزعمت المعتزلة والحرورية والجهمية أن الله ـ عز وجل ـ في كل مكان، فلزمهم أنه في بطن مريم[٢] وفي الحشوش، والأخلية ، وهذا خلاف الدين ـ تعالى الله عن قولهم ـ ويقال لهم : إذا لم يكن مستوياً على العرش بمعنى يختص العرش دون غيره كما قال ذاك أهل العلم ، ونقلة الآثار ، وحملة الأخبار، وكان الله ـ عز وجل ـ في كل مكان ، فهو تحت الأرض التي السماء فوقها وإذا كانت تحت الأرض ، والأرض فوقه ، والسماء فوق الأرض ، ففي هذا ما يلزمكم أن تقولوا: إن الله تحت التحت ، والأشياء فوقه ، وأنه فوق الفوق والأشياء تحته، وفي هذا ما يجب أنه تحت ماهو فوقه ، وفوق ماهو تحته، !! وهذا هو المحال المتناقض ـ تعالى الله عن افترائكم عليه علواً كبيراً » .

(١) الحشوش جمع حش ، وفتح الحاء أكثر من ضمها وهو البستان أو مكان الغائط، والأخلية جمع خلاء وهو المتوضأ.

(٢) يرميهم بأنهم كالنصارى الذين قالوا إن مريم حملت بالإله وولدت الإله.

والنتيجة مرة أخرى: ثم استدل أبو الحسن بأدلة أخرى أبطل بها مفتريات هؤلاء المؤولة المعطلة ، ثم قال : «كل ذلك يدل على أنه ليس في خلقه ، ولا خلقه فيه ، وأنه مستو على عرشه ، وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً ، فلم يثبتوا له في وصفهم حقيقة ، ولا أوجبوا وحدانية، إذ كل كلامهم يؤول إلى التعطيل ، وجميع أوصافهم تدل على النفي. أتريدون بذلك زعم التنزيه ونفي التشبيه؟ فنعوذ بالله من تنزيه يوجب النفي والتعطيل».

تعقيب: هذه هي عقيدة إمام الأشاعرة الأول في الاستواء فليتدبر أتباعه ما وصم به إمامهم أولئك الذين يؤولون الاستواء بمثل تلك التأويلات الباطلة ، التي يدين بها الخلفيون الزاعمون أنهم أشاعرة.

ليتدبروا ، فلعلهم ـ على الأقل ـ لا يوقعون أنفسهم تحت ما حكم به إمامهم الكبير على المؤولة، ولعلهم يوقنون مرة أخرى أن ما صارت إليه «الأشعرية» على يد متأخري الأشاعرة يخالف كل المخالفة عقيدة إمام الأشاعرة الأول، وبأن هؤلاء المتأخرين من الأشاعرة إنما هم أشباح الجهمية والمعتزلة، أو شياطينهم.

عقيدته في الوجه والعينين واليدين: ثم يتابع الأشعري الإبانة عن عقيدته في كتاب «الإبانة» فتراه يعقد باباً بأكمله تحت هذا العنوان : «باب الكلام في الوجه والعينين والبصر واليدين» وفيه يقول ما يأتي : «قال الله تبارك وتعالى: ﴿**كل شيء هالك إلا وجهه**﴾[١] وقال عز وجل: ﴿**تجري بأعيننا**﴾[٢] وقال : ﴿**واصنع الفلك بأعيننا ووحينا**﴾ [٣] فأخبر عز وجل أن له وجهاً وعيناً لا بكيف ولا بحد ، وقال ـ عز وجل ـ: ﴿**واصبر لحكم ربك فإنك**

(١) سورة القصص : ٨٨. (٢) سورة القمر : ١٤.

(٣) سورة هود : ٣٧ .

بأعيننا﴾[1] وقال: ﴿**ولتُصنَع على عيني**﴾[2] وقال لموسى وهارون ﴿**إنني معكما أسمع وأرى**﴾[3] فأخبر عن سمعه، وبصره، ورؤيته ونفت الجهمية أن يكون لله وجه كما قال، وأبطلوا أن يكون له سمع وبصر وعين».

ثم قال: «فمن سألنا، فقال: أتقولون: إن لله ـ سبحانه ـ وجهاً؟ قيل له نقول ذلك خلافاً لما قاله المبتدعون، وقد دل على ذلك قول الله عز وجل: ﴿**ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**﴾[4] وإن سُئلنا: أتقولون: إن لله يدين؟ قيل: نقول: ذلك وقد دل عليه قوله ـ عز وجل ـ: ﴿**يد الله فوق أيديهم**﴾[5] وقال عز وجل: ﴿**لما خلقت بيدي**﴾[6] وقال عز وجل: ﴿**بل يداه مبسوطتان**﴾[7] وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: «**كلتا يديه يمين**» رواه مسلم.[8]

وكما استدل الأشعريّ في باب الاستواء بأدلة نقلية وعقلية، نراه يستدل أيضاً هنا في هذا الباب بأدلة ملأت أكثر من أربع صفحات كبيرة من كتاب الإبانة[9].

تعقيب: هذه هي عقيدة الأشعري كما بسطها في كتابه «الإبانة» وقد أثبت الحافظ «ابن عساكر» جل هذه النصوص التي ذكرناها في كتابه «تبيين كذب المفتري» وابن عساكر قد توفي سنة ٥٧١ هـ، وهو من خلّص الأوفياء

(١) سورة الطور: ٨. (٢) سورة طه: ٣٩. (٣) سورة طه: ٤٦.
(٤) سورة الرحمن: ٢٧. (٥) سورة الفتح: ١٠. (٦) سورة ص: ٧٥.
(٧) سورة المائدة: ٦٤.
(٨) برقم (١٨٢٧) والنسائي (٥٣٧٩) وغيرهما عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.
(٩) أخذنا كل هذه النصوص السابقة عن كتاب الإبانة لأبي الحسن الأشعري المطبوع سنة ١٣٤٨هـ تحت إدارة الطباعة المنيرية من ص ٧ إلى ص ٤١ وانظر أيضاً كتاب تبيين كذب المفتري لابن عساكر فقد أورد فيه الكثير من هذه النصوص من ص ١٥٢ إلى ص ١٦٣ والكتاب مطبوع سنة ١٣٤٧هـ.

لإمامه الكبير أبي الحسن وقد قدم لهذه النصوص بقوله في كتابه التبيين: «لابد أن نحكي عنه معتقده على وجهه بالأمانة؛ ليُعلم حقيقة حاله في صحة عقيدته في أصول الديانة، فاسمع ما ذكره في أول كتابه الذي سماه بالإبانة»[1] ثم نقل كثيراً من تلك النصوص.

فابن عساكر: وقد نصب نفسه لتمجيد أبي الحسن ولإثبات أنه كان على عقيدة السلف، وللدفاع عنه في حماس قويّ وعاطفة مشبوبة لم يجد ما يحقق له غرضه سوى ما سجله الأشعري؟ في «الإبانة» وهذا مصداق ما قاله ابن تيمية عن كتاب الإبانة: «وقد ذكر أصحابه ـ أي أصحاب الأشعري ـ أنه آخر كتاب صنفه، وعليه يعتمدون في الذَّبِّ عنه عند من يطعن عليه»[2].

كما يذكر ابن عساكر أيضاً ما سجله «أبو الحسن» في كتابه «العُمُد» وهو قوله: «وألفنا كتاباً كبيراً في الصفات وفي إثبات الوجه لله، واليدين، وفي استوائه على العرش» كما يذكر ابن عساكر قولاً آخر لأبي الحسن سجله أيضاً في كتاب «العُمُد»: «وألفنا كتاباً كبيراً في الصفات نقضنا فيه كتاباً كنا ألفناه قديماً فيها على تصحيح مذهب المعتزلة لم يُؤلَف لهم كتاب مثله، ثم أبان الله ـ سبحانه ـ لنا الحق، فرجعنا عنه فنقضناه، وأوضحنا بطلانه»[3].

كما ينقل ابن عساكر مرثية رثى بها أحد الشعراء أبا الحسن وقد جاء فيها ما يأتي:

ولا يرى صفاته ... مثل صفات البشر
وليس ينفي صفة ... له كنفي المُنكِر
ويثبت استواءه ... كما أتى في السور[4]

(١) ص ١٥٢ تبيين كذب المفتري. (٢) ص ٤٤٨ جـ ١ مجموعة الرسائل الكبرى.
(٣) انظر صفحتي ١٢٩، ١٣١ من تبيين كذب المفتري. (٤) ص ١٧٥ المصدر السابق.

كل هذا، بل بعضه يدمغ بالجور أولئك الأشاعرة الذين يمقتون أن يُنسب إلى الأشعري أنه كان يمجد عقيدة السلف ، وذلك حين يتراءون بالارتياب في صحة نسب كتابه «الإبانة» إلى الأشعري [1]، أو حين يزعمون أنه رجع عما فيه ، فألف الكتب التي تنقض ما أثبته فيه !! والإبانة في الحقيقة هو آخر كتاب ألفه !!

ولا أظن في أشعري مسلم ، أنه يرتضي أن يتهم إمامه بالردة عن دين الحق، أو بأنه كان نهب الحيرة والاضطراب في عقيدته أو بأنه كان ذا وجهين وجه ينافق به المعتزلة والمعطلة، فيكتب في تأويل الصفات أو نفيها، ووجه آخر ينافق به السلفيين، فيكتب في إثبات الصفات، ولا أظن في إنسان يحترم الحقيقة أنه يجنح إلى الريبة في صحة نسب الكتاب إلى الأشعري من غير دليل إلا إن كنا نعتبر نزغ الهوى دليلاً ! كما لا أظن أنه يرتاب في أن الأشعري ظل يؤمن بكل كلمة قالها فيه ، ولم يؤلف كتاباً آخر ينقض به ما أثبته في الإبانة.

والذين يُجلُّون الأشعري ، ويفخرون بالانتساب إليه ، لا أظن أيضاً أنهم يجرؤون على إنكار هذه الحقيقة التي أُذكِّرهم بها مرة أخرى : تلك هي أن ما انتهى إليه مذهب الأشعري على يد بعض أتباعه يخالف ما كان عليه الأشعري نفسه ، ويناهضه وأنّ ما كتبه الرازي ، أو الجويني وغيرهما من تأويلات يناقض عقيدة الأشعري كل المناقضة، وينتسب برحم ماسة إلى المعتزلة

(١) ذكر الحافظ أبو محمد بن علي البغدادي في رسالة الذب عن الأشعري أنه شاهد نسخة من الإبانة بخطه مقروءة مصححة ثم عرض بأشعري ارتاب في نسبة الكتاب إلى أبي الحسن ، فقال :« فما دريت من أي أمر به أعجب، أمن جهله بالكتاب مع شهرته وكثرة من ذكره في التصانيف من العلماء، أو من جهله بحال شيخه الذي يفتري عليه بانتمائه إليه واشتهاره قبل توبته بالاعتزال» ص ١٠ رسالة الكوثري وتعليقاته مطبعة الإمام.

والجهمية الذين كفرهم أبوالحسن الأشعري !! فهل بعد هذا أستطيع أن أقدم على الظن بأن أشاعرة اليوم لن يقدموا على تحطيم إمامهم الكبير ، ليبنوا على أنقاضه بعض الذين أبوا إلا أن يجحدوا بدين إمامهم الكبير ، وإلا أن يعينوا عليه عدوه من الجهمية والمعتزلة !! وإلا أن يَسبُّوا كبار أئمتهم كالأشعري، ليسبوا ـ بغياً ـ أنصار السنة؟

رأي الأشعري في كتابه المقالات: وكتاب المقالات من أنفس وأجل الكتب التي عنيت بترجمة آراء الفرق الإسلامية وغير الإسلامية وقد سماه : «مقالات الإسلاميين، واختلاف المصلين» وكل أشعري يفخر بهذا الكتاب ، غير أن الكثير منهم كان يتمنى أن يحذف منه الأشعري هذا الباب الذي عنون له بقوله : « هذه حكاية جملة قول أصحاب الحديث ، وأهل السنة» ولقد بدأه بذكر طرف من عقيدة أهل السنة ثم ذكر أنهم يقرون بأن الله سبحانه على عرشه ، وأن له يدين بلا كيف ، وأن له وجهاً، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة وأنه يجيء يوم القيامة، وأنه يقرب من خلقه كيف شاء، وأنهم يرون اتِّباع مَنْ سلف من أئمة الدين ، ومجانبة كل بدعة، وكل داع إلى بدعة، وقد ذكر أبو الحسن بجوار كل مسألة أدلتها النقلية من القرآن والسنة ، ثم قال: «وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول ، وإليه نذهب ، وما توفيقنا إلا بالله وهو حسبنا ، ونعم الوكيل » [1] .

لقد خشي الأشعري أن يظن به ظان أنه ليس من أهل السنة، فعقّب على

(١) ص ٣٢٠ وما بعدها جـ ١ مقالات الإسلاميين طبع النهضة ويقول ابن تيمية عن كتابه هذا: «إنه من أجمع الكتب ، وقد استقصى فيه أقاويل أهل البدع، ولما ذكر قول أهل السنة والحديث ذكره مجملاً غير مفصل» ص ٢٤٧ مجموعة تفسير ابن تيمية.

رأي أهل الحديث بما عقب، وهكذا نرى الأشعري لا يترك فرصة تسنح من غير أن يهتبلها، ليثبت أنه على عقيدة السلف ، هذا لأن ولاءه القديم للمعتزلة كان شبحاً رهيباً يؤرقه، ويثير ثائرة شجوه ويسعر جحيم الندامة في أعماقه ويريب فيه أمة من الناس، ويدفعه إلى أن يؤكد في كثير من كتبه التي ألفها بعد توبته من الاعتزال أنه على عقيدة السلف.

تُرى ، هل اقتنع الأشاعرة؟

إني لأخشى أن يستبد بهم العناد، فيدفعهم إلى دمغ إمامهم الكبير أبي الحسن الأشعري بالزيغ والتجسيم ، ليرموا بنفس هذا البهتان أنصار السنة المحمدية !! أخشى أن يصمّوا آذانهم عن هذا النداء الخالص من النية الصافية، ومن جلال الحقيقة وسمائها ، فيصِمُوا إمامهم الكبير بالردة عن حقيقة الدين الحق !! أما نحن «أنصار السنة المحمدية» فنُبرِّئ إمام الأشاعرة الكبير من هذه الوصمة الشنعاء.

رأي الباقلاني

والباقلاني هو: كما يقول: ابن تيمية في «الحموية» : «أفضل المتكلمين المنتسبين إلى الأشعري ، ليس فيهم مثله، لا قبله ، ولا بعده» وقد سجل الباقلاني: أنه سلفي العقيدة في كتبه الآتية: التمهيد ، والإبانة، والحيرة، وننقل هنا رأيه عن التمهيد.

إيمانه بالاستواء : قال الباقلاني: «إن قال قائل: فهل تقولون: إن الله في كل مكان .

قيل : معاذ الله ، بل هو مستو على العرش ، كما أخبر في كتابه فقال عز

وجل : ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ (١) قال تعالى :﴿ **إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** ﴾(٢) وقال :﴿ **أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض** ﴾»(٣) .

رده على من يزعمون أن الله في كل مكان : يرد الباقلاني على أصحاب هذه الفرية بقوله:« ولو كان في [كل] مكان، لكان في جوف الإنسان ، وفي فمه ، وفي الحشوش، وفي المواضع التي يُرغَب عن ذكرها ـ تعالى الله عن ذلك ـ ولو كان في كل مكان ، لوجب أن يزيد بزيادة الأمكنة، إذا خلق منها مالم يمكن خَلقَه ، وينقص بنقصانها، إذا بطل منها ماكان، ولصح أن يرُغَب إليه إلى نحو الأرض ، وإلى وراء ظهورنا، وعن أيماننا، وعن شمائلنا، وهذا ما قد أجمع المسلمون على خلافه وتخطئة صاحبه».

شبهة وردها: والشبهة الأولى نتجت عن سوء فهم ـ وأعتقد أن سوء الفهم متعمد ـ لقوله تعالى :﴿ **وهو الذي في السماء إلهٌ وفي الأرض إلهٌ** ﴾(٤) فقد زعم أصحاب هذه الشبهة أن هذه الآية الكريمة تثبت أن الله في كل مكان !! وعلى هؤلاء يرد الباقلاني بقوله : « المراد أنه إله عند أهل السماء، وإله عند أهل الأرض كما تقول العرب: فلان نبيل مطاع بالعراق، ونبيل مطاع بالحجاز، يعنون بذلك أنه مطاع بالمِصْرين، وعند أهلهما ، وليس يعنون أن ذات المذكور بالحجاز والعراق موجودة».

شبهة المعية :

وردت آيات كثيرة تثبت المعية، وقد زعم المعطلة وأتباعهم أنّ هذه الآيات

---

(١) سورة طه : ٥ .
(٢) سورة فاطر: ١٠ .
(٣) سورة الملك: ١٦ .
(٤) سورة الزخرف :٨٤ .

تنفي الاستواء، وتثبت أن الله في كل مكان ويرد الباقلاني على مقترفي هذه الشبهة بقوله : «وقوله تعالى: ﴿ **إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾(١) يعني بالحفظ والنصر ، والتأييد، ولم يرد أن ذاته معهم تعالى، وقوله تعالى :﴿ **إنني معكما أسمع وأرى** ﴾(٢) محمول على هذا التأويل - أي التفسير وقوله تعالى :﴿ **ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم** ﴾(٣) يعني : أنه عالم بهم، وبما خفي من سرهم، ونجواهم، وهذا إنما يُستعمل كما ورد به القرآن، فلذلك لا يجوز أن يقال قياساً على هذا: إن الله بالبردان، ومدينة السلام (٤) ودمشق، وأنه مع الثور والحمار، وأنه مع الفساق ، والمهان ومع المُصعدِين إلى الحلوان (٥) قياساً على قوله : ﴿ **إن الله مع الذين اتقوا** ﴾ فوجب أن يكون التأويل على ما وصفناه» وسيأتي بسط بيان عن المعية.

رده على من فسر الاستواء بالاستيلاء: ويقول الباقلاني: «لا يجوز أن يكون معنى استوائه على العرش هو استيلاؤه كما قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق

لأن الاستيلاء: القدرة والقهر والله - تعالى - لم يزل قادرا قاهراً عزيزاً ، مقتدراً ، وقوله تعالى: ﴿**ثم استوى**﴾ يقتضي استفتاح هذا الوصف بعد أن لم يكن، فبطل ما قالوه »(٦).

(١) سورة النحل : ١٢٨. (٢) سورة طه : ٤٦ . (٣) سورة المجادلة : ٧ .

(٤) البردان: اسم يُطلق على قرية في بغداد ،وعلى مواضع أخرى ، ومدينة السلام : هي بغداد.

(٥) حلوان : تقال على عدة أماكن منها حلوان العراق ، وكانت مدينة عامرة، وحلوان قوهستان بنيسابور، وحلوان مصر.

(٦) ص ١١٩ وما بعدها اجتماع الجيوش الإسلامية ص ٤٥٢ ج ١ مجموعة الرسائل الكبرى ، ص ١٦٩ ج ٣ شذرات الذهب، وانظر النسخة المصورة من التمهيد الموجودة في حوزة إدارة الثقافة بالجامعة العربية ، وهي منقولة عن نسخة مكتبة مصطفى عاطف باستانبول رقم ٢٢٢٣ ويوجد هذا النص في أثناء وجه ١٣٧ من النسخة العاطفية.

زهق الباطل : نُشر كتاب التمهيد للباقلاني بالقاهرة سنة ١٩٤٧م وليس فيه هذا النص الذي نقلناه هنا، وقد أشرف على طبعة التعليق عليه أستاذان من أساتذة جامعة القاهرة، وقد فتنهما عن الحق والتثبيت شيخ شعوبي كان لايدين إلا بمقت السنة وأئمتها ، والعروبة وأبطالها، لهذاعاش ينال من كل إمام مسلم عربي الأصل ويدعو إلى الجهمية الصرفة فكان أن رمى الأستاذان - بوسوسة الشيخ - الإمام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم بما كان يجب أن يرميا به الشيخ الشعوبي بعد أن أضلّهما وضلّلهما، ونال من كرامتهما العلمية بين الزملاء الجامعيين، ولا سميا بعد ظهور النسخة الكاملة من التمهيد فقد أثبتت أنهما كانا ضحية من ضحايا حقد الشيخ على ابن تيمية العظيم ، وعلى كل ماهو عربي إذ وجد فيها النص الذي نقلناه ، ولشد ما أدهشنا، وأدهش كل محب للحقيقة أن يخضع الأستاذان الكبيران، لتلبيس حاقد موتور، فيصرفهما عن التثبيت والبحث والتنقيب الذي يقيم لهما كل معذرة، وهما من أبناء الجامعات التي تزعم أنها تعلم - أول ما تعلم - الحرية الفكرية !!

لقد اعترف الأستاذان اعترافاً ضمنياً بوجود نقص كبير في نسختهما الخطية التي عُثر عليها في مكتبة باريس ، والتي عنها نُشر «التمهيد» وبأنها لا تطابق الفهرس المخطوط الملحق بالنسخة البارسية ، ولهذا يقولان:« ونلاحظ اختلافاً بين هذا الفهرست، ومضمون نص التمهيد الذي قدمناه للقراء، فهو يحتوي على خمسة وعشرين عنواناً غير موجودة في نصنا، كما أنه لا يشير إلى أبواب كثيرة وردت في التمهيد» (١) ثم يقولان : «وتبقى أخيراً عدة عناوين نجدها موضع شبهة خطيرة منها رقم «٣٠» الخاص بالاستواء على

(١) ص ٢٦٢ من كتاب التمهيد.

العرش» هذا، لأنهما لم يجداه في النسخة التي بين أيديهما ، ثم أشارا إلى ما نقله ابن القيم في «الجيوش الإسلامية» عن كتاب التمهيد، وإلى ما ذكره ابن تيمية أيضاً في الحموية وغيرها، ثم قالا: «لو صدقنا ابن تيمية وتلميذه ابن القيم في نقلهما عن التمهيد، للزمنا أن نقرر أن ما بين يدينا من نص التمهيد غير كامل، ولكننا لا نستطيع ـ عند ملاحظة التعارض البيِّن بين المذهب الباقلاني، ومعنى ما ينسبه إليه هذان المؤلفان المعروفان بالتحيز ـ إلا الشك في صحة نقلهما، وقد كتب إلينا العلامة الحجة الشيخ «.....» وكيل مشيخة الإسلام في الخلافة العثمانية في هذا الشأن : « لا وجود لشيء مما عزاه ابن القيم إلى كتاب التمهيد في كتاب التمهيد هذا ، ولا أدري ما إذا كان ابن القيم عزا إليه ما ليس فيه زوراً ليخادع المسلمين في نحلته، أم ظن بكتاب آخر أنه كتاب التمهيد للباقلاني، ونحن نثق على كل حال بنسخة التمهيد التي بين يدينا ثقة أقوى من ثقتنا بنقل ابن تيمة وابن القيم».

وقد ذكر الأستاذان أيضاً: أنه جاء في الفهرس : «باب القول في الوجه واليدين» ولكنهما لم يجداه في النسخة [1] كما ذكرا أن الباقلاني قال في مقدمة التمهيد أنه سيتكلم عن مسألة ما في باب «التعديل والتجوير» ولكنهما لم يجدا لهذا الباب أثراً في نسخته الخطية [2] كما ذكر أنه يوجد نسختان مخطوطتان للتمهيد غير نسختهما محفوظتان باستانبول، إحداهما في مكتبة أيا صوفيا تحت رقم ٢٢٠١، والأخرى في مكتبة عاطف تحت رقم ٢٢٢٣، غير أنهما لم يستطيعا الوصول إلى واحدة منها، كما اعترفا بأن أيدياً امتدت

(١) وُجد في النسخة العاطفية لكتاب التمهيد ، وذلك في أثناء وجه ١٣٦ منها.
(٢) وُجد في النسخة العاطفية في أثناء وجه ١٦٩.

إلى المخطوطة التي نشرا عنها الكتاب ، كما ذكر الأستاذان أسماء الكتب التي ألفها الباقلاني والتي لم يعرف الكثير منها النشر، ومنها كتاب«الإبانة عن إبطال مذهب أهل الكفر والضلالة» وهو الذي نقل عنه ابن تيمية في «الحموية» عقيدة الباقلاني في الصفات، وكتاب « الحرة» وهو الكتاب الذي نقل عنه ابن القيم في «الجيوش ما يؤيد ما ذهب إليه الباقلاني في التمهيد في مسألة الصفات غير أنه سماه « الحيرة»

ألا ترى أن كل هذا، بل بعضه كان كافياً في إقناع الأستاذين بأن النسخة التي نشر عنها الكتاب نسخة ناقصة فعلاً !! وفي منع الأستاذين من أن يصدرا على الإمامين الجليلين ابن تيمية وابن القيم هذا الحكم الظالم الذي تسرعا في إصداره، والذي كان من بين «حيثياته» لقب وكالة المشيخة الإسلامية !! وقد آمن الأستاذان ـ بعد ـ أن هذه الوكالة قد غررت بهما ، وجعلت منهما أحدوثة يتفكه بها العاكفون على النظر في المخطوطات ونشرها، إذ ما كانت الألقاب من الوسائل التي يُعتمد عليها في نشر المخطوطات، وفي التنصيص على نفي شيء أو إثباته !! كما كان من بين «الحيثيات» أن ما نقله الإمامان ابن تيمية وابن القيم يخالف مذهب الباقلاني!

ولست أدري ما الذي دعاهما إلى إصدار حكمها بإثبات هذه المخالفة المزعومة !! أكانت بين أيديهما الكتب الباقلانية التي استنبطا منها مذهب الباقلاني، وجعلتهما يعتقدان أن ما استنبطاه منها يخالف ما نقله الإمامان الجليلان؟! لم يكن بين أيديهما سوى هذه النسخة الناقصة من التمهيد، فأنَّى لهما العلم بمذهب الباقلاني الحقيقي؟!

هذا، وقد نسي الأستاذان، أو تناسيا أننا كثيراً ما نعثر بمثل هذا التناقض في مذاهب كثير من أئمة الأشاعرة، فقد كان بعضهم يدين اليوم بما يتراءى له

غداً أنه ضلالة ، فينصرف عنه إلى غيره، ودليلنا في هذا الأشعري نفسه ، والجويني والرازي والغزالي، ففي كل منه مس، وفي تاريخ كل منهم دليل الحقيقة التي نقولها .

وابن تيمية على وفرة خصومه، وترصد المئات منهم للنيل منه ، لم يجرؤ واحد منهم على التشكيك في أمانته العلمية، وهاهي كتب ابن تيمية، وها هي كتب الحديث والتفسير والفقه والأصول والتصوف والكلام والفلسفة والمنطق والتاريخ واللغة والأدب، فراجعوا ما نقله ابن تيمية في كتبه عن كتب هذه الفنون، وثمت تتجلى لكم قيمة هذه الأمانة العظيمة التي كان يمتاز بها الإمام الجليل، وخبرته الواسعة الدقيقة بكل فن من فنون الثقافات في عصره، ومايوضح القيمة الجليلة لهذه الأمانة، وشمول هذه الخبرة الواسعة أن نذكر أنه لم تكن هناك مطبعة، ولا كتب مطبوعة !! ولا أكون مغالياً إذا قلت إن النقول التي توجد في كتب ابن تيمية يجب أن تُجعل مرجعاً من المراجع التي يُرجع إليها عند نشر المخطوطات التي نقل عنها ابن تيمية لتحقيقها ، وتصويبها!!

فقلم ابن تيمية ، وفكرة الثاقب ، وفهمه الدقيق، وبصيرته المشرقة، وخبرته الواسعة، وشمول ثقافته، وأمانته العظيمة المشهود بها له ، كل هذا يجعلنا نثق الثقة المطلقة في دقة النصوص التي توجد في كتبه وفي صحتها، حتى فيما ينقل عن فلاسفة الإغريق، كأرسطو، وأفلاطون !! فما بالك بالثقافة العربية والإسلامية؟!

ثم أقول للأستاذين: ألا نستطيع اتهامهما بأنهما هما اللذان أخفيا باب الاستواء ، وباب الوجه واليدين ، ولاسيما ونحن نعلم أن الباعث على هذا الإخفاء موجود وقويّ ، فقد كانا تحت سيطرة ذلك الشيخ الذي كان لا يبغض إماماً كما يبغض ابن تيمية وابن القيم، ولا يحقد على فئة كما يحقد على أهل السنة !! كنا نستطيع ذلك ، مادام الاتهام أصبح هيناً يسيراً كما فعل الأستاذان، ولكننا لم نفعل، لأننا نكرم أنفسنا.

وقد شاء الله ـ سبحانه ـ أن يبرِّئ الإمامين الجليلين «ابن تيمية وابن القيم» مما رماهما به الشيخ الشعوبي ، ومحققا كتاب التمهيد، إذ صورت إدارة الثقافة بالجامعة العربية مخطوطة التمهيد التي كانت في استانبول بمكتبة عاطف تحت رقم ٢٢٢٣ (١).

وقد قارن أخونا الأستاذ الجليل الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة بين ما في النسخة التي صورتها إدارة الثقافة وبين ما سجله ابن القيم في « الجيوش» وابن تيمية في «الحموية» فتجلت له صورة رائعة من الأمانة العلمية التي امتاز بها الإمام وتلميذه فنشر هذا في صحيفتنا «الهدي النبوي» وفي رسالة خاصة، وقد طالب الأستاذين أن يذعنا لسلطان الحق القاهر، فيعترفا صراحة بالخطأ ويستغفرا الله مما بهتا به الإمامين الجليلين، وينشرا في رسالة خاصة ما أغفلته نسختهما أو يعيدا نشر التمهيد مرة أخرى احتراماً للحقيقة على الأقل ، ولم يستجب أحد لهذه الدعوة الجليلة !! وإليك ما جاء في كلمة الأستاذ محمد عبد الرزاق:

« بمقارنة نسخة مكتبة مصطفى عاطف بنسخة مكتبة باريس وجدنا نقصاً في نسخة باريس عن نسخة مكتبة عاطف بنحو ٧٢ ورقة تقدر بنحو ٣٠ ورقة من النسخة الباريسية ومحل النقص بين الورقة ٦٠، والورقة ٩١ منها» هذا وقد طبُع التمهيد عن العاطفية في بيروت في سنة ١٩٥٧م من منشورات

(١) أشرت إلى هذا في كتابي «دعوة الحق» المطبوع سنة ١٩٥٢ حينما عرضت رأي الباقلاني.

جامعة بغداد، وقد دحض ناشرها قول الأستاذين اللذين نشرا التمهيد بالقاهرة، وكذبهما فيما نسباه إلى ابن تيمية وابن القيم ، مستدلاً بوجود ما نقلاه في النسخ الخطية التي نُشر عنها التمهيد في بيروت ومنها العاطفية» وأقول : من يراجع ما نقله الإمام ابن القيم في الجيوش بما في الوجه ١٣٧ من النسخة العاطفية المحفوظة صورتها في إدارة الثقافة العربية يجد التطابق التام بين ما نقله ابن القيم في كتابه الجيوش عن التمهيد وبين ما هو موجود في العاطفية ، مما يعطينا الدليل فوق ما لدينا من أدلة على أن أمانة ابن القيم وشيخه العظيم ابن تيمية فوق الشبهات، وحق ما يقول أخونا الأستاذ (محمد عبد الرزاق حمزة): «يا تُرى هل كان من المصادفات التي لا يؤمن كثير من متعالمي هذا الزمان أنها أقدار الله الجارية بحكمته وعلمه ـ أن تأتي النسخة العاطفية من جبال الأناضول البعيدة عن الناشرين إلى القاهرة على يد هيئة دولية هي إدارة ثقافة الجامعة العربية ؟ فقد طارت بتوفيق الله لحضرة السلفي الصالح خادم السنة وباذل ماله ونفسه في نشرها في أقطار العالم الشيخ محمد نصيف بتصوير نسخة منها على نفقته ـ فجزاه الله خيراً ـ ليطلع الناس عليها ، فيصح عندهم انخرام النسخة الباريسية التي نُشرت بالقاهرة، ويقوم دليل جديد بفضل الشيخين ابن تيمية وابن القيم وصحة نقلهما ، وبهت من كذبهما ، وافترى عليهما» نعم إنها قدرة الله القاهرة.

وهكذا جاء الحق ، وزهق الباطل ، وثبت ثبوتاً يغمره جلال اليقين أن الباقلاني دان في التمهيد بما يدين به السلف في الصفات ، وأنه أحد اللاعنين للخلفيه الشوهاء !!.

رأي في الباقلاني: يقول بروكلمان في دائرة المعارف الإسلامية عن الباقلاني أنه «أدخل في علم الكلام أفكاراً جديدة مأخوذة من الفلسفة اليونانية، أو من المذاهب الاعتقادية للكنيسة الشرقية مثل فكرة الجوهر الفرد، والخلاء[1] والقول بأن العرض لا يحتمل العرض ، وأنه لا يبقى زمانين» وهذه هي إحدى جنايات «الباقلاني» فإنه كما يقول ابن خلدون في مقدمته «جعل هذه القواعد تبعاً للعقائد الإيمانية في وجوب اعتقادها، لتوقف تلك الأدلة عليها ، وأن بطلان الدليل يؤذن ببطلان المدلول»[2].

يجب اعتقاد آراء الكنيسة الشرقية والفلسفة اليونانية ، ليصح إيماننا !! ونحن نسأل الخلف !! أكان صفوة هذه الأمة في قرنها الأول يعرفون الجوهر

---

(١) يقول بعض المتكلمين،ومنهم الأشاعرة إن الكائنات مؤلفة من أجزاء متماثلة في ذاتها، وكل جزء من هذه الأجزاء يسمى الجزء الذي لا يتجزأ، أو الجوهر الفرد ، أو الذرة في الاصطلاح العلمي الحديث ، وقد عرّف الكلاميون الجوهر الفرد بأنه ذو وضع لا يقبل القسمة أصلاً لا قطعاً، ولا كسراً ولا وهماً، ولا فرضاً.
والإيمان عند الأشعرية يتوقف على الإيمان بمسألة الجوهر الفرد ، فهو حجر الزاوية في مذهبهم ، أو هو كما عبر كبير منهم ـ الأصل السادس من أصول الإسلام أو القاعدة التي ينبني عليها كثير من قواعد الإسلام، كإثبات القادر المختار، وكثير من أحوال النبوة والمعاد !! والخلق المستمر هكذا يؤكد الأشاعرة أنه بدون دليل الجوهر الفرد لا يمكن إثبات قدرة الله واختياره ، ولا إثبات نبوة من النبوات، ولا القيامة التي أخبر الله عنها؟ أما الخلاء ، فقد افترضوا وجوده ، لكي يمكن تحرك هذه الجواهر الفردة ، فتجتمع، أو تفترق. والأشاعرة لم يبتدعوا القول بالجوهر الفرد، وإنما قلدوا غيرهم وغلوا في التقليد ، حتى أصبح دليل الجوهر الفرد عندهم هو الدليل المعتمد وحده في التوحيد إنهم استمدوه من المتكلمين قبلهم و هؤلاء استمدوه من الفلسفة اليونانية القديمة التي كانت قبل سقراط ولاسيما فلسفة «ديمقريطس» فقد قسم هذا الفيلسوف الطبيعي الوجودَ إلى عدد غير متناه من الوحدات المتجانسة غير المنقسمة، غير المحسوسة لتناهيها في الدقة ، وحكم عليها بالوجود في خلاء غير متناه تتحرك فيه فتتلاقى، وتفترق فيحدث الكون بتلاقيها ، والفساد بافتراقها . وديمقريطس يحكم بقدم هذه الجواهر الفردة أو الذرات وببقائها الأبدي السرمدي ، وبأن الحركة تعصف بها منذ القدم بذاتها ، أي لا صلة لإله بحركتها.
وينتقل مذهب الفيلسوف ، ويؤمن به الأشاعرة ، فيصير ديمقريطس هو النبي المستتر لأشاعرة الجوهر الفرد ، وتصير أسطورته الأصل الذي يتوقف عليه إيمانهم ونجاتهم، هذا وقد فجر العالم الذرة، وعصف بها ، وفتتها .تُرى بماذا يثبت الأشاعرة اليوم وجود الصانع المختار، والنبوات ، ومجيء اليوم الآخر؟

(٢) ص ٢٠٦ ط عبد الرحمن محمد.

الفرد والخلاء، والعرض الذي لا يبقى زمانين ؟! ولا يحتمل العرض ؟ ونسألهم أيضاً : بم يُحكم على هؤلاء ؟؟ فقد كانوا جميعاً لا يعرفون شيئاً عن هذه الأوهام التي زعموا أنها الأدلة التي يتوقف على معرفتها الإيمان والتي زعموا أنها أصل أصول الإسلام [1]؟

رأي ابن فُورَك

وأبو بكر بن فورك من كبار أئمة الأشاعرة ، وقد اضطربت أقواله في بعض أصول الدين، ولكنه يثبت الصفات الخبرية كالوجه واليدين ، وكذلك المجيء والإتيان كما فعل إمامه الكبير أبو الحسن الأشعري. وقد قال فيما صنف في أصول الدين:

فإن سألتِ الجهمية عن الدلالة على أن القديم [2] سميع بصير ؟ قيل لهم: اتفقنا على أنه حي تستحيل عليه الآفات والحي إذا لم يكن مَوْوفاً بآفات تمنعه من إدراك المسموعات والمبصرات كان سميعاً بصيراً.

وإن سألَتْ فقالت : أين هو ؟ فجوابنا : إنه في السماء كما أخبر في التنزيل عن نفسه بذلك فقال ـ عز من قائل ـ: ﴿ **أأمنتم من في السماء**﴾[3] وإشارة المسلمين بأيديهم عند الدعاء في رفعها إليه ، وإنك لو سألت صغيرهم وكبيرهم فقلت : أين الله ؟ لقالوا : إنه في السماء ولم ينكروا لفظ السؤال

(١) يقول الغزالي : « من أشد الناس غلواً وإسرافاً طائفة من المتكلمين كفروا عوام المسلمين ، وزعموا أن من لا يعرف الكلام معرفتنا، ولم يعرف العقائد الشرعية بأدلتنا التي حررناها، فهو كافر، فهؤلاء ضيقوا رحمة الله الواسعة على عباده» ص ٩٧ الجواهر الغوالي مجموعة رسائل الغزالي.

(٢) نبهنا مراراً على أن القديم ليس من أسماء الله الحسنى وإنما من أسمائه الأول والآخر.

(٣) سورة الملك : ١٦ .

بأين ، لأن النبي ﷺ سأل الجارية التي عرضت للعتق فقال : «**أين الله؟**» فقالت : في السماء مشيرة بها [1] فقال النبي ﷺ : أعتقها فإنها مؤمنة، ولو كان ذلك قولاً منكراً لم يحكم بإيمانها ولأنكر عليها ، ومعنى ذلك أنه فوق السماء لأن «في» بمعنى فوق قال الله تعالى : ﴿ **فسيحوا في الأرض**﴾ أي فوقها.

وحسناً فعل أبو بكر بن فورك !! فإنه لم يغضب من «أين» ولا من الجواب عن «أين» كما يفعل أشاعرة اليوم !! ولو أنه غضب من «أين»لاتهم أعظم ا لعابدين، وخاتم المرسلين بأنه نال عمداً من حرمات الله وتغاضى جاحداً عن شتم الله فإنه ﷺ هو الذي سأل بأين، وهو الذي حكم بإيمان من أجابت عن «أين» !!

رأي الجويني

والجويني من أعظم أعلام الأشاعرة، حتى لقد لقبوه بإمام الحرمين، وقد نزع في كتابه « الإرشاد» منزل التأويل ، وعدا على السلف بحملة ظالمة[2]

(١) أي بإصبعها، وقد صرح بها في رواية أبي هريرة التي أخرجها أبو داود «فأشارت إلى السماء بأصبعها». وانظر صحيح سنن أبي داود (٨٢٣).

(٢) انظر صفحة ٤٠ من كتاب الإرشاد، وقد روى محمد بن طاهر المقدسي أن الشيخ أبا جعفر الهمداني حضر أبا المعالي ، وهو يخطب على المنبر يقول « كان الله ولا عرش» ويؤكد نفي الاستواء فقال له الهمداني :« يا أستاذ دعنا من ذكر العرش ـ يعني، لأن ذلك إنما جاء في السمع ـ وأخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا، ما قال عارف قط : ياألله إلا وجد من قلبه معنى يطلب العلو، لا يلتفت يمنة ، ولا يسرة فكيف نرفع هذه الضرورة عن قلوبنا» فصرخ أبو المعالي، ووضع يده على رأسه، وقال: «حيرني الهمداني » ثم نزل من على المنبر، وقد علق شيخ الإسلام ، الإمام ابن تيمية على هذه القصة بقوله: «فهذا الشيخ الهمداني تكلم بلسان جميع بني آدم، فأخبر أن العرش والعلم باستواء الله عليه إنما أخذ من جهة الشرع وخبر الكتاب والسنة بخلاف الإقرار بعلو الله على الخلق من غير تعيين عرض ، ولا استواء ، فإن هذا أمر فطري ضروري نجده في قلوبنا نحن ، وجميع من يدعو الله تعالى فكيف ندفع هذه الضرورة عن قلوبنا» ص ٥٢ نقض المنطق.

ولكنه عاد فحرَّم التأويل ومجَّد السلف، وسجل ذلك في آخر كتاب قام بتأليفه، وهو «العقيدة النظامية» وبهذا أدرج «الإرشاد» في الأكفان !! وإليك ماقاله في «النظامية»: «اختلف مسالك العلماء في الظواهر التي وردت في الكتاب والسنة، وامتنع على أهل الحق فحواها [1]، وإجراؤها على موجب ما تبرزه أفهام أسباب اللسان منها [2] فرأى بعضهم تأويلها ، والتزام هذا المنهج في آي الكتاب ، وفيما صح من سنن النبي ﷺ .

وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل، وإجراء الظواهر على مواردها ، وتفويض معانيها إلى الرب ـ سبحانه ـ.

والذي نرتضيه رأياً وندين الله به عقداً اتباعُ سلف الأمة ، فالأولى الاتِّباع، وترك الابتداع. والدليل السمعي القاطع في ذلك أن إجماع الأمة سنة متبعة، وهو مستند معظم الشريعة، وقد درج صحب الرسول ﷺ على ترك التعرض لمعانيها ودرك ما فيها ، وهم صفوة الإسلام، والمشتغلون بأعباء الشريعة، وكانوا لا يألون جهداً في ضبط قواعد الملة والتواصي بحفظها ، وتعليم الناس ما يحتاجون إليه منها ، فلو كان تأويل هذه الظواهر مسوغاً، أو محتوماً لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، فإذا انصرم عصرهم وعصر التابعين على الإضراب عن التأويل ، كان ذلك قاطعاً بأنه الوجه المتبع، فحق على ذي الدين أن يعتقد تنزه الرب ـ تعالى ـ عن صفات المحدثات، ولا يخوض في تأويل المشكلات، ويكل معناها إلى الرب.

ومما استُحسِن من إمام دار الهجرة مالك بن أنس أنه سُئل عن قوله

(١) الفحوى: معنى الكلام ولحنه، وتعبير أبي المعالي يخالف الحقيقة فالذي امتنع على أهل الحق: هو إدراك الكيفية لا المعنى.

(٢) أي امتنع إجراؤها على حسب ما يفهم الناس منها بالنسبة إلى الحق.

تعالى: ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾[1] فقال : « الاستواء معلوم ، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة» فلْتُجْرِ آية الاستواء والمجيء، وقوله: ﴿ **لما خلقت بيدي** ﴾[2] وقوله :﴿ **تجري بأعيننا** ﴾[3] وما صح من أخبار الرسول ـ عليه السلام ـ كخبر النزول وغيره على ماذكرنا فهذا بيان ما يجب لله تعالى»[4].

وفي كلام الجويني حق كبير، ولكن فيه أيضاً تناقض باد وخلل مثير !! فقد قرر أن مذهب أئمة السلف هو إجراء الظواهر على مواردها والانكفاف عن التأويل، وهذا هو الحق الذي أيده هو بما نقله عن مالك، وهو قوله ـ رضي الله عنه ـ : « الاستواء معلوم» فعلام يدل هذا؟ إنه لا يدل إلا على شيء واحد وهو أن معنى الاستواء مفهوم معلوم معناه من لغة القرآن والحديث ، ولو لم يكن هذا مراد مالك ، لقال : لا أدري، أو لقال : الاستواء مجهول،. ولكنه قال «معلوم» أما الذي حكم مالك بأنه مجهول فهو «الكيف» لا «المعنى».

أما التناقض: فقد وقع فيه «الجويني» بسبب زعمه أن السلف كانوا يفوضون «معاني» الصفات ، فهذا الزعم الفطير[5] يناقض ما ذكره من قبل، فصار كأنما يقول : مذهب السلف إجراء الظواهر على معانيها ، ومذهب السلف تفويض معانيها !! وهذا يدلك ويؤكد لك أن الجويني لم يحسن التعبيرعن مذهب السلف رغم أنه استشهد بالكلمة القيمة المقتصدة التي قالها

(١) سورة طه: ٥ . (٢) سورة ص:٧٥ . (٣) سورة القمر: ١٤ .

(٤) انظر صفحة ٢٣ وما بعدها العقيدة النظامية ط سنة ١٩٤٨ بمطبعة الأنوار بالقاهرة وهي قسم من كتاب كبير ألفه الجويني في العقيدة والأركان المبني عليها الإسلام وقد عمد تلميذه «أبو بكر بن العربي» إلى فصل قسم العقيدة من هذا الكتاب و تسميته العقيدة النظامية».

(٥) الفطير: كل ما أعجل به قبل نضجه ويقال: رأي فطير: خطر بالبال وأُبدي بلا تثبت. المعجم الوسيط (٢/٧٢٠) مادة فطر (الناشر).

مالك، والتي ذهب فيها مذهب أستاذه الجليل «ربيعة بن أبي عبد الرحمن» [1] فقد سُئل ربيعة عن كيفية الاستواء فقال : «الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التصديق».

وهكذا نرى إمام دار الهجرة وأستاذه الجليل يؤكدان أن معنى الاستواء معلوم ، أما «كيفية» استواء الله على عرشه ، فهي المجهولة !! هذا ، وإلا اتهمنا سلف هذه الأمة البررة الأخيار بأنهم كانوا لا يؤمنون في الأسماء والصفات الإلهية إلا بألفاظ خربة خاوية لا معنى لها ، ولا دلالة !! وقلنا بأن صفات الله وأسماءه ما هي إلا ألفاظ خالية من كل مدلول أو مفهوم ، فلا تثير في قلب العابد إلا الشعور بالعدم ، وبالقلق العميق السحيق، ولا تتصل بالفكر إلا اتصال الرموز المبهمة والألغاز المحيرة، والأحجيات والطلّسمات المقنَّعة بالغموض والإبهام !! أو بأنه ـ سبحانه ـ أبى لنا إلا الضلالة الأبدية والحيرة السرمدية، والتناحر المدمر حول أسمائه وصفاته !!

وكيف نجرؤ على اتهام الله سبحانه بهذا ، وبأنه يوجب علينا الإيمان بأن أسماءه وصفاته ألفاظ لا معنى لها ، أو يوجب علينا ـ نحن المخلوقين ـ أن نضع لهذه الأسماء والصفات الإلهية المعاني التي نريد، لأنه عجز عن بيان معاني أسمائه وصفاته ؟!

وهل يقدر المخلوق ، ويعجز الخلاق ، والمخلوق آية من آيات قدرته القاهرة ؟

إ ن ما ذكره الجويني يشعرك بأنه كان ـ وهو يكتب التأييد الحق ـ ينظر بإحدى عينيه إلى الماضي الذي صال فيه ، وجال مدَّرعاً بالتأويل جاحداً

(١) أُطلق عليه «ربيعة الرأي» وقد قال عنه مالك : «ذهبت حلاوة الفقه منذ مات ربيعة» توفي سنة ١٣٦هـ.

بالاستواء ، وبعقيدة السلف ، ويرمق بالأخرى حاضره الذي انبثقت فيه إشراقة من النور في قلبه ، ودوت في أعماقه زجرة هاوية من الضمير تحثه على الإذعان الخالص للحق ، وعلى أن يكفر بماضيه ، وولائه للباطل فيه .

فحاول فيما كتبه في «العقيدة النظامية» أن يجعل منه شِفَّ رياء لماضيه، ولحاضره ، حتى لا يثير أولئك الذين دانوا بكتبه الأولى وانضووا تحت لوائه و هتفوا باسمه ، وصفقوا له !! ثم، ليُسكن قليلاً من ثورة الحق التي يدوي هديرها القوي في أعماقه !! على أن في كلام «الجويني» حقائق جديرة بالتأمل والاعتبار.

أولاها: أن خير طريقة هي طريقة السلف، لا طريقة الخلف فالسلف هم صفوة هذه الأمة ، فهم أصحاب الرسول ﷺ والتابعون لهم بإحسان.

والثانية : وجوب الكف عن التأويل ـ أي الكف عن صرف الألفاظ عن ظواهرها.

الأخيرة: وجوب الاتّباع، والكف عن الابتداع، وبهذه الحقائق التي ناصر الجويني فيها دعوة الحق ، استحق أن يدعو المسلمون له بالرحمة والمغفرة، ولاسيما من أجل هذه النصيحة التي قال فيها : «لا تشتغلوا بالكلام فلو أني عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به » [1]

فعلى الأشاعرة المعاصرين واجب كبير، وهو أن يكفوا عن العمل ببدعة الضلالة بدعة الكلام، كما قال إمامهم الكبير وأن يدرسوا ما دان به سلف هذه الأمة دراسة واعية مستبصرة وهو دين الحق الجلي من الكتاب والسنة ليحققوا بهذه الدراسة ، والإيمان عن بينة ما دعاهم إليه إمامهم الكبير الجويني، وهو : وجوب الاتّباع، وترك الابتداع.

(١) ص ٦١ نقض المنطق

رأي الغزالي

وأبو حامد الغزالي أشعري كبير ، وله صفة أخرى ألصق به من أشعريته هي : أنه صوفي كبير!! ولكننا هنا سنأخذ عن «أشعريته» التي تعلمها على يد أستاذه «الجويني» أما صوفيته الإشراقية، فسنترك لغيرنا الحكم عليها في ترجمته.

يقول في كتابه «إلجام العوام عن علم الكلام» «اعلم أن الحق الصريح الذي لا مراء فيه عن أهل البصائر هو مذهب السلف ـ أعني الصحابة التابعين»[1] ثم قال : « إن البرهان الكلي على أن الحق في مذهب السلف وحده ينكشف بتسليم أربعة أصول مسلمة عند كل عاقل» وإليك موجزاً عن هذه الأصول التي ذكرها الغزالي.

الأصل الأول: أن النبي ﷺ هو أعرف الخلق بصلاح أحوال العباد، بالإضافة إلى حسن المعاد.

الأصل الثاني: أنه بلغ كل ما أوحي إليه من صلاح العباد في معادهم ومعاشهم، ولم يكتم منه شيئاً.

الأصل الثالث: أن أعرف الناس بمعاني كلام الله ، وأحراهم بالوقوف على كنهه، وإدراك أسراره هم أصحاب الرسول الذين شاهدوا الوحي والتنزيل، ولازموا الرسول آناء الليل والنهار، مسخرين أنفسهم لفهم معاني كلام الوحي، وتلقيه بالقبول للعمل به أولاً، ولنقله إلى الذين بعدهم ثانياً وللتقرب إلى الله بسماعه وفهمه وحفظه ونشره ثم يقول : «ليت شعري أيُتَّهم رسول الله ﷺ بإخفائه [2] ـ يعني الوحي ـ وكتمانه عنهم ؟ حاشا منصب النبوة عن

(١) ص ٥ إلجام العوام ط منير.

(٢) الصوفية التي آمن بها الغزالي، ونصرها تؤكد ذلك ، فتزعم أنه كتم الحقيقة ، وأظهر الشريعة! وأنه اختص بالحقيقة قوماً دون قوم من أصحابه !! وانظر النصوص الدالة على هذا في كتابي « مصرع التصوف، وهذه هي الصوفية».

ذلك أويُتَّهم أولئك الأبرار في فهم كلامه ، وإدراك مقاصده ، أو يُتَّهمون في إخفائه وإسراره بعد الفهم ، أو يُتَّهمون في معاندته من حيث العمل ، ومخالفته على سبيل المكابرة مع الاعتراف بفهمه وتكليفه ، فهذه أمور لا يتسع لتقديرها عقل عاقل».

الأصل الرابع: إن أصحاب الرسول ﷺ في طول عصرهم إلى آخر أعمارهم ما دعوا الخلق إلى التأويل ولو كان التأويل من الدين أو علم الدين ، لأقبلوا عليه ليلاً ونهاراً ودعوا إليه أولادهم وأهلهم.

وبعد هذه الأصول المحكمة المسلمة فعلاً عند كل مسلم يصدر الغزالي هذا الحكم الصادق الحق الخاص بالسلف : «نعلم بالقطع من هذه الأصول أن الحق ماقالوه، والصواب ما رأوه» [1] ولا ريب في أن كل أصل من هذه الأصول التي أجاد الغزالي في بسطها وعرضها توجب على كل مسلم أن يتّبع، لا أن يبتدع، فعلى أشاعرة العصر الحديث ، أو على الخلفيين واجب كبير أذكرهم به مرة أخرى، هو : أن يدرسوا مذهب السلف الذي أكد الغزالي أنه وحده هو الصواب والحق والهدى، وأن ماسواه خطأ وباطل وضلالة، دون أن يعتمدوا على الغزالي، فإنه بعد هذا التمجيد للسلف قد نسب إليهم آراء باطلة يبرأ منها صفوة السلف ، فأثبت أنه لا يفقه دين السلف!

وفي كتابه «فيصل التفرقة بين الكفر والزندقة» يُعرِّف البدعة بأنها عبارة عن إحداث مقالة غير مأثورة عن السلف ثم يتبع هذا بالحديث عن مقامين، فيقول: « يتضح لك أن هنا مقامين أحدهما : مقام عوام الخلق ، والحق فيه الاتّباع والكف عن تغيير الظواهر رأساً، والحذر عن إبداع التصريح بتأويل لم

(١) ص ٣٣ وما بعدها إلجام العوام.

تصرح به الصحابة ، وحسم باب السؤال رأساً والزجر عن الخوض في الكلام والبحث واتّباع ما تشابه من الكتاب والسنة كما رُوي عن مالك ـ رحمه الله ـ أنه سُئل عن الاستواء فقال : «الاستواء معلوم ، والإيمان به واجب ، والكيفية مجهولة ، والسؤال عنه بدعة» ثم يتكلم عن المقام الثاني فيقول : « المقام الثاني بين النظار الذين اضطربت عقائدهم المأثورة المروية ، فينبغي أن يكون بحثهم بقدر الضرورة، وتركهم الظاهر بضرورة البرهان القاطع» (١).

المقام الأول: يصفه الغزالي بأنه مقام الاتّباع، والكف عن الابتداع وأصحاب هذا المقام يؤمنون بآيات الصفات والأسماء وأحاديثها من غير تغيير للظواهر، أو نزوع إلى التأويل ، كما قال مالك في الاستواء !! وكل مسلم يعرف أن هذا المقام هو مقام سلف هذه الأمة وأخيارها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، كما يعترف الغزالي ضمناً وصراحة، ولكن الغزالي ينعته صراحة أيضاً بأنه مقام العوام !! **أما المقام الآخر:** فهو مقام النظار أو المتكلمين أو الخلف ، وهؤلاء يحرم عليهم ترك الظاهر من غير ضرورة مستمدة من البرهان القاطع، لأن ترك الظاهر بغير برهان قاطع كفر كما يقول الغزالي نفسه في نفس الكتاب ولكن الغزالي يصف هذا المقام بأنه مقام النظار الذين اضطربت عقائدهم !!.

وأعتقد أن كل مسلم يجب أن يوجه إلى الغزالي هذا السؤال : إذا كان البررة الأخيار من سلف هذه الأمة هم العوام في الفكر والعقيدة والدين فمن ـ ياترُى ـ هم خواصها وأبرارها، وأرباب الفكر الثاقب والبصيرة المشرقة ، والدين القويم ؟ لقد ذكر في «إلجام العوام» أنهم السلف أما هنا فلا يذكر لنا

(١) ص ٨٨ الجواهر الغوالي رسالة « فيصل التفرقة» ط أولى سنة ١٣٥٣هـ.

في مقابل هؤلاء «العوام» سوى : «النظار الذين اضطربت عقائدهم» أفهؤلاء هم الخواص أصحاب الفكر العبقري والدين الخالص السوي ؟! لقد ضل الغزالي في تيه سحيق عميق !!فهم إن دانوا بما دان به خيار هذه الأمة، سماهم عواماً ، وإن دانوا بما دان به علماء الكلام، أو الخلف سماهم نُظَّاراً قد اضطربت عقائدهم !!

والمسلم الحق ـ ولا شك ـ يحب أن يكون من أولئك الذين أطلق عليهم الغزالي أنهم عوام.

وحسبنا من الغزالي اعترافه بأن أصحاب الرسول ﷺ قد كفّوا عن التأويل، وأنهم آمنوا بصفات الله وأسمائه كما وردت، وأن عقيدة السلف هي الحق والمنجاة، وأن التأويل هلكة ومهواة. اسمعوا إليه يقول في كتابه « قانون التأويل» عن التأويل في أصول العقيدة : «من أين يُتجاسر على الحكم بالظن، وأكثر ما قيل في التأويلات ظنون وتخمينات ؟! ولست أرى أن أحكم بالتخمين وهذا أصوب وأسلم من كل عاقل وأقرب إلى الأمن يوم القيامة، إذ لا يبعد أن يُسأل يوم القيامة، ويُطالب ويقال : لِمَ حكمت علينا بالظن ؟ ولا يقال له: لِمَ لَمْ تستنبط مرادنا الخفي الغامض»(١) وتدبر ما ذكره دون أن يتعرض له بإبطال ، وهو أن « إثبات الفوق لله ـ تعالى ـ مشهور عند السلف ولم يذكر أحد منهم أن خالق العالم ليس متصلاً بالعالم، ولا منفصلاً، ولا داخلاً ، ولا خارجاً ، وأن الجهات الست خالية منه، وأن نسبة جهة فوق إليه كنسبة جهة تحت فهذا قول بدع»(٢) ترى هل يقتنع أشاعرة العصر، وهم أحلاس هذه البدعة الملعونة التي ذكرها الغزالي؟

(١) ص ١٢ قانون التأويل

(٢) ص ٨٨ رسالة فيص التفرقة ، داخل مجموعة الجواهر الغوالي.

عقيدة الرازي

والفخر الرازي من أشهر متكلمي الأشاعرة، ومن غلاة المؤوِّلة المسرفين في الطعن على السلف، ومن المؤلفين في كل فن حتى في السحر والتنجيم[1] غير أنه مالبث أن ارتاب في كل ما كتب ـ كما يقول شيخ الأزهر السابق ، الشيخ مصطفى عبد الرازق : «وقلّت ثقته في العقل الإنساني، وأدرك عجزه، وأدرك تماماً أنه لا يستطيع الإحاطة بالوجود في ذاته، وكانت تنتابه في بعض مجالس وعظه نوبات فيصرخ مستغيثاً!! وعظ يوماً بحضرة السلطان شهاب الدين الغوري، وحصلت له حال ، فاستغاث : ياسلطان العالم. لا سلطانك يبقى ، لا وتلبيس الرازي يبقى» كما يذكر الشيخ أيضاً ما نقله ابن الصلاح

(١) ألف فيه كتاب « السر المكتوم في مخاطبة الشمس والنجوم»وقدألفه كما يقول ابن تيمية في السحر وعبادة الكواكب والأوثان مع أنه كثيراً ما يحرِّم ذلك ، وقد نقل ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **يُعلّمون الناس السحر**﴾ نصوصاً كثيرة منها زعمه: أن الساحر قد يقلب الإنسان حماراً ، والحمار إنساناً ، وأن تحصيل العلم بالسحر واجب ، وأن السحر ثمانية أنواع، منه سحر الذين كانوا يعبدون الكواكب السبعة، وقد ذكر فيه طريقهم في مخاطبة كل كوكب من هذه الكواكب السبعة وكيفية ما يفعلونه، وما يلبسونه وما يتمسكون به ، كما ذكر أن من أنواع السحر الاستعانة بالأرواح الأرضية، وهم الجن ،وذكر أنه يمكن الاتصال بها بالرقى والدخن أو بالعزائم وعمل التسخير، ثم يقول ابن كثير :« ويقال إنه تاب منه، وقيل بل صنفه على وجه إظهار الفضيلة لا على سبيل الاعتقاد» وقال عنه الذهبي في «ميزان الاعتدال»: «وله كتاب السر المكتوم في مخاطبة النجوم سحر صريح فلعله تاب من تأليفه إن شاء الله » كما ذكر ابن خلّكان أسماء كتب الرازي التى ألفها، ثم قال : «وفي الطلّسمات السر المكتوم، أو المكنون».

وله كتاب في تفسير حديث المعراج يقول عنه ابن تيمية ما يأتي : « احتذى فيه حذو ابن سينا فإنه روى الحديث بسياق طويلة وأسماء عجيبة وترتيب لا يوجد في شيء من كتب المسلمين ، وإنما وضعه بعض السوال والطرقية ، أو بعض شياطين الوعاظ، أو بعض الزنادقة ثم إنه مع الجهل بحديث المعراج فسره بتفسير الصابئة الضالة المنجمين، وجعل معراج الرسول ترقية بفكره إلى الأفلاك وأن الأنبياء الذين رآهم الكواكب ، فآدم هوالقمر وإدريس هو الشمس والأنهار الأربعة هي العناصر، وأنه عرف الوجود الواجب المطلق» ص ٥٣ نقض المنطق.

عن الرازي وهو قوله : «ياليتني لم أشتغل بعلم الكلام ، وبكى» [1].

ومن هوج الحسرة البالغة على ما ضيع من عمر في الجدل عن الضلالة، ومن دموع الندامة التي كانت تؤج في أعماقه، ومن أغوار فاجعته النفسية راح يندب نفسه بهذه الأبيات:

نهاية إقدام العقول عقالُ ... وأكثر سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طوال عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا[2]

إنها عاصفة الشك تجتاح نفسه ، وتدمر ثقته في كل ما ألف وكتب، وقرأ من قبل ، وإنها صرخة الندم على ما ضيع !!

«وأكثر سعي العالمين ضلال !!» إنه سعي «الخلفية» وسعي ماضيه الذي تروعه أشباحه، وتفجعه منه ذكريات الإسراف في الجور على قيم الحق ومقدساته، وفي اتهام أولياء الحق المثبتين للصفات بأنهم يهود هذه الأمة !! كما كان ينعتهم من قبل .

«جمعنا فيه قيل وقالوا» !! هذا هو كل ما حصله من معرفة !! إنها أقوال تافهة لا تهدي ، ولا تنزع بفكر إلى الاهتداء، وغثاء عفن من الخرافات، وإنها لترجمان صادق عن قيمة كل ما أُلف من كتب ، وعن قيمة معارف أولئك الذين يَعدُون على الحق، ويوغلون في العدوان عليه !!

(١) ص ٢٠ من مقال صدَّر به الشيخ كتاب «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» للرازي .

(٢) انظر ترجمة الرازي في وفيات الأعيان لابن خلّكان، وتذكرنا هذه الأبيات بقول الشهرستاني صاحب الملل والنحل:

لقد طفت في تلك المعاهد كلها ... وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعاً كف حائر ... على ذقن أو قارعاً سنَّ نادم

وقد قدم بهما لكتابه نهاية الإقدام كما ذكر ابن خلكان في ترجمته.

فهل يعتبر أولئك الذين مازالوا على تقديسهم وولائهم لكتب ألفها الرازي في ضلالته ، ثم عاد ـ والندم يستحوذ على مشاعره، والتوبة تأخذ بناصيته ـ فوصفها بأنها تفاهة وباطل !! لقد برئ منها الرازي، وندم أشد الندم على تأليفه لها ، وقد عبر عن هذا الندم في أبياته تلك، وبما سجله في كتابه «أقسام اللذات»(١).

براءته من الخلفية : يقول في كتابه «أقسام اللذات»: «لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها تشفي عليلاً ، ولا تروي غليلاً ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في التنزيه : ﴿**والله الغني وأنتم الفقراء** ﴾(٢) وقوله تعالى: ﴿ **ليس كمثله شيء**﴾(٣) و﴿ **قل هو الله أحد**﴾(٤) وأقرأ في الإثبات : ﴿ **الرحمن على العرش استوى**﴾(٥) ﴿**يخافون ربهم من فوقهم**﴾(٦) و﴿**إليه يصعد الكلم الطيب**﴾(٧) وأقرأ في أن الكل من الله قوله :﴿ **قل كلٌ من عند الله** ﴾(٨) ومن جرب مثل تجربتي ، عرف مثل معرفتي».

وصية الرازي في مرض موته: أملى الرازي في مرض موته على تلميذه «إبراهيم بن أبي بكر الأصفهاني» وصية طيبة، قال عنها «ابن خلكان»: «ورأيت له وصية أملاها في مرض موته على أحد تلامذته تدل على حسن

(١) سماه الشيخ مصطفى عبد الرازق أقسام الذات ، ولعله خطأ مطبعي ، فالكتاب يتحدث عن أقسام اللذات الإنسانية.
(٢) سورة محمد: ٣٨.
(٣) سورة الشورى :١١ .
(٤) سورة الإخلاص: ١.
(٥) سورة طه : ٥ .
(٦) سورة النحل: ٥٠.
(٧) سورة فاطر:١٠ .
(٨) سورة النساء :٧٨ .

العقيدة»(١) ومما جاء في هذه الوصية قوله : «ولقد اعتبرت الطرق الكلامية ، ومناهج الفلسفة ، فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن العظيم» وقد استفتحها بقوله : « اعلموا أني كنت رجلاً محباً للعلم ، فكنت أكتب في كل شيء شيئاً، لا أقف على كمية ، ولا كيفية سواء كان حقاً ، أو باطلاً ، أو غثاً أو سميناً» (٢).

اعتراف صادق ريَّان الإخلاص في ندامته بأن المناهج الكلامية ، أو طريقة الخلف لا تهتدي ولا تهدي ، وإنما تورِث الشك والقلق والحيرة العاصفة.

وفي وصيته الحزينة صورة موجعة من مأساته الدامية ، وإنك لتكاد تلمح دموع التوبة ، وهي تنساب من عينيه الذاويتين ، وتحس شواظ الحسرة المشبوبة في أعماقه !!

كما يتبين لك في جلاء رجوعه عن «خلفيته» الجامحة إلى عقيدة السلف ، ويبدو لك إيمانه القوي بالاستواء والفوقية وإني أخص هاتين بالذكر ، لأن الرازي ـ يرحمه الله ـ كان لا يكفر بشيء قبل توبته كما يكفر بالاستواء والفوقية ، ولكن تداركته رحمة الله، فشرح للحق صدره ، فتاب ومضى في شيخوخته الواهنة المكدودة المتعبة يبتهل إلى الله بالتوبة ، ويلعن كل ما كتب من قبل !!

ثم يعلن عقيدته في وصيته، ولكنك تحس بالخوف القوي الذي يملك على الرجل أنفاسه ، وقلمه ، وفكره، وهو يقول: «كلما ثبت بالدلائل الظاهرة من وجوب وجوده ووحدته وبراءته على الشركاء في القدم والأزلية والتدبير والفعالية ، فذاك هو الذي أقول به، وألقى الله تعالى به وأما ما انتهى الأمر فيه

(١) ذكرها في ترجمة الرازي
(٢) ٢٣، ٢٤ مقدمة الشيخ مصطفى عبد الرازق لكتاب الرازي .

إلى الدقة والغموض ، فكل ما ورد في القرآن والأخبار الصحيحة المتفق عليها بين الأئمة المتبعين للمعنى الواحد ، فهو كما هو».

ثم يقول ، ودموعه تحمل أشجان قلبه وأفلاذه مسترحماً الرحمن الرحيم: « لتكن رحمتك مع قصدي، لا مع حاصلي ، فذاك جهد المقل ، وأنت أكرم من أن تضايق الضعيف الواقع في زلة فأغثني وارحمني واستُر زلّتي، وامح حوبتي يامن لا يزيد ملكَه عرفانُ العارفين ، ولا ينقص ملكه بخطأ المجرمين».

ثم يقول مايجب أن يقوله الخلف بعد توبتهم: «وأقول : ديني متابعة سيد المرسلين محمد ﷺ وكتابي القرآن العظيم ، وتعويلي في طلب الدين عليهما».

أين الصِّيالُ في سورته وأين الجدال المحموم في رعونته؟ وأين الرازي الخلفي الذي جعل كتاب الله وراءه ظهرياً ؟ لا ترى إلا قلباً يذوب في توبته ، ولوعة تنفس عن غليلها، واستسلامها مقروناً بالخوف والخشية المهيمنة على نفس ذليلة.

فهل يتدبر الخلفيون الذين يتخذون الرازي رباً من دون الله فيحلون بهواه، ويحرمون بهواه، ويسدون أسماعهم وقلوبهم عن القرآن لهواه ؟؟! فهم رازيون أكثر من الرازي الأسطورة.

وهل يجوز أن يظل بعض الناس مصرين على الإيمان بقدسية الرازي ووجوب الاقتداء به في أصل الدين ، وهو الذي وقف على شفا القبر يلعن ذلك الماضي الرهيب الملعون الذي استعان فيه بعدوانه على الحق؟ أيهما أجدر بالاقتداء ـ إن كان يجوز الاقتداء بغير الرسول ﷺ ـ الرازي وهو نهب الحيرة والضلالة في شبابه المعربد، أم الرازي الشيخ الذي شفته التوبة من ضلالته ؟ إنه لعجيب أن يحطم صاحب الصنم صنمه، ويعلن في صراحة أنه كان صنماً حقيراً ، ومع هذا يأبى الخلفيون إلا أن يعتقدوا فيه أنه ليس صنماً، وإنما هو إله كبير !!

عجيب أن يعتدَّ الخلفيون الزاعمون أنهم يتبعون الكتاب والسنة بكتب الرازي التي برئ هو منها ، وجدَّ في لعنها وسجد بين يدي الله في ذلة يضرع إليه ألا يحاسبه على ما بث فيها من زيغ وضلالة !! عجيب أن يجعلوا هذه اللعنة عقبة كأداء تحول بينهم، وبين القرآن؟

كلمة أخيرة مع الأشعرية: من هذا العرض الأمين يتبين لنا أن أبا الحسن الأشعري دان ـ بعد الاعتزال بأهم أصول عقيدة السلف ، وأنه لم ينقض شيئاً مما قاله في الإبانة ، وأن كبار أئمة الأشاعرة كانوا ـ إذا ضلّوا ، وأضلّوا ـ سرعان ما يفزعون بالتوبة إلى الله من الخلفية، يفيؤون إلى السلفية يستروحون منها سكينة الهدى بعد أن أهلكهم السُّرَى في غياهب الضلالة !!

حتى الغزالي !! فإن ابن عساكر يقول عنه : «وكانت خاتمة أمره إقباله على حديث المصطفى ﷺ، ومجالسة أهله ، ومطالعة الصحيحين البخاري ومسلم»[1] ولهذا أسأل الزاعمين أنهم على دين الخلف : أين هو دين الخلف وهؤلاء الذين تدعونهم أئمة الخلف ، قد لعنوا هذا الدين الخلفي، وبرئوا إلى الله منه ، ودعوا جميعاً إلى الإيمان بما آمن به سلف هذه الأمة، وكما آمنوا ؟ وإني لأستطيع أن أجيب بالحق البين : ليس للخلفية من معنى ، ولا سلطان تعتد به بعد هذا إلا ذكريات تعسة !! فقد شهد التاريخ أئمة هذه «الخلفية» وهم يهوون بمعاولهم عليها، ويأتون بنيانها الواهن من القواعد ، ويخلفون أطلالها الثكلى تقص للتاريخ قصة أولئك الذين شيدوها، ثم حطموها، وتركوها أنقاضاً تثير العِبْرة والعَبْرة !! تركوها ومالها من وجود إلا في متحف الآثار البالية !! ثم أقول للخلفيين أيضاً : إنه لا «الإرشاد ولا المواقف ، ولا

(١) ص ٢٩٦ تبيين كذب المفتري.

العقائد العضدية، ولا المقاصد ، ولا العقائد النسفية» ولا كل الشروح الطوال لها ، ولا الحواشي المسرفات في اللغو والهذر، ولا كل كتب الرازي التي ألفها قبل توبته ، ولا كتاب من هذه الكتب يمثل حقيقة ما ذهب إليه أبوالحسن الأشعري، ثم هو بالأحرى لا يهدي إلى يقين ، ولا يمثل صورة من صور اليقين !! أروني الذين هُدوا إلى الإسلام على يد هؤلاء؟

ابن تيمية والأشعري

يشهد خصوم ابن تيمية أن هذا الإمام الجليل كان من أجل الناقدين نزاهة وأمانة وسماحة وعدالة، وأبعدهم عن التعصب، إذ كان هدفه تقويم الفكر الديني تقويماً صحيحاً سليماً، يطابق أصول الكتاب والسنة لا أصول مذهب خاص له ، وبهذه الروح كتب ابن تيمية عن أبي الحسن الأشعري ، فقال : «وأبو الحسن لما رجع عن مذهب المعتزلة سلك طريقة ابن كُلاب [1] ومال إلى أهل السنة والحديث ، وانتسب إلى الإمام أحمد» [2] ويقول في مكان آخر : «وأقرب الأقوال إليه قول ابن كُلاب : فأما ابن كلاب، فقوله مشوب بقول الجهمية ، وهو مركب من قول أهل السنة ، وقول الجهمية، وكذلك مذهب

(١) أبو محمد عبد الله بن سعيد بن محمد بن كلاب الكرماني القطاني مات بعد سنة ٢٤٠ هـ.

(٢) ص ١٠ جـ ٢ موافقة صحيح المنقول ط السنة المحمدية. كما يتحدث عن موقف أهل السنة والحديث من الأشعرى وأتباعه فيقول :« الأشعري نفسه لما كان أقرب إلى قول الإمام أحمد ومن قبله من أئمة السنة كان عندهم أعظم من أتباعه. والقاضي أبو بكر الباقلاني لما كان أقربهم إلى ذلك كان أعظم عندهم من غيره، وأما مثل الأستاذ أبي المعالي، وأبي حامد الغزالي ونحوهما ممن خالفوا أصوله في مواضع فلا نجدهم يعظّمون إلا بما وافقوا فيه السنة والحديث وأكثر ذلك تقلدوه من مذهب الشافعي في الفقه الموافق للسنة والحديث ، ومما ذكره في الأصول مما يوافق السنة والحديث ، ومما ردوه مما يخالف السنة والحديث » ص ١٦ نقض المنطق.

الأشعري في الصفات ، وأما في القدر، فقوله قول جهم !! وهو يحب الانتصار لأهل السنة والحديث ، وموافقتهم ، فأراد أن يجمع بين ما رآه من رأي أولئك يعني ـ الجهمية ـ وبين ما نقله عن هؤلاء، والطائفتان ـ أهل السنة والجهمية ـ يقولون: إنه تناقض لكن السني يحمد موافقته لأهل الحديث، ويذم موافقته للجهمية، والجهمي يذم موافقته لأهل الحديث ، ويحمد موافقته للجهمية».

ويقول عن أتباعه : «وأتباعه الذين عرفوا رأيه ، أظهروا من مخالفة أهل السنة والحديث ما هو لازم لقولهم، ولم يهابوا أهل السنة والحديث أو يعظموا، ويعتقدوا صحة مذاهبهم، كما كان هو يرى ذلك» .

«ولهذا كان متأخرو أصحابه ، كأبي المعالي ونحوه أظهر تجهماً وتعطيلاً من متقدميهم ، وهي مواضع دقيقة يغض الله لمن أخطأ فيها بعد اجتهاده، ولكن الصواب ما أخبره به الرسول ، فلا يكون الحق في خلاف ذلك قط، والله أعلم» [1].

ويقول عن أبي المعالي : «كان يقول بالتأويل ، ثم حرّمه، وحكى إجماع السلف على تحريمه، وآخر قول أبي المعالي المنع من تأويل الصفات الخبرية ، وذكر أن هذا إجماع السلف» [2].

وقد ذكرنا من قبل رأي ابن تيمية في الباقلاني.

ثم يقول عن متأخري الأشاعرة ـ بعد أن نقد المعتزلة ـ « وقد وافقهم بعض متأخري الأشعرية على ما جاء في بعض الصفات وبعضهم في بعض ما جاء في اليوم الآخر» [3] وهكذا يثبت الإمام الجليل دائماً خبرته الواسعة، وثقافته

(١) ص ٢٤٧ وما بعدها مجموعة تفسير ابن تيمية.

(٢) ص ٩ المصدر السابق ، ص ٣٣٠، وقول ابن تيمية حق يؤيده ما نقلناه عن النظامية.

(٣) ص ١٤ ج ٢ مجموعة الرسائل الكبرى .

الشاملة ، واطلاعه العظيم ، ونزاهته في النقد، وأمانته البالغة في النقل، وإنا لنقول ما قاله: إننا نحمد للأشاعرة ما وافقوا فيه الكتاب والسنة ، ونقول معه أيضاً: « أهل السنة والعلم والإيمان يعلمون الحق ، ويرحمون الخلق ، يتبعون الرسول فلا يبتدعون، ومن اجتهد ، فأخطأ خطأً يعذره فيه الرسول عذروه»[1] بهذه الروح نقد ابن تيمية وبهذه الروح ننقد أيضاً باسم الله.

الصوفية من الخلفية

الصوفية تلك العجوز الشمطاء التي بقيت تقص لنا قصة تاريخها الأسود مع البوذية والبرهمية والمجوسية واليهودية والصليبية والغنوصية ، أو هذه الرقطاء التي تنفث سمومها ، وتزعم أنها شهد معطر بأريج الجنة !! وهذه الصوفية التي تعادي الإسلام في أصوله وفروعه تأبى إلا أن تزعم الغيرة على الإسلام منا نحن المسلمين ـ فتبهتنا هي الأخرى بالتجسيم ، وتعتد بالخلفيين في عدوانها على الكتاب والسنة ، هذه الصوفية هي التي راودت الأشعرية عن دينها حتى فتنتها، ثم أعطتها لسانها ، وقلمها، ليكتب أئمتها عن حقيقة الإسلام.

كما زعمت لهم !! فكتب الكثير منهم عن كل شيء ماعدا شيئاً واحداً قد كتبوا ضده ، ولم يكتبوا عنه كلمة حق واحدة إنه هو الإسلام !! واذكروا قصة الصوفية مع القشيري الأشعري الكبير واذكروا فتنته.

(١) ص ١٣ مجموعة تفسير ابن تيمية.

واذكروا قصة الصوفية مع الغزالي [1].

فهي التي طوحت بالرجل الكبير بعيداً عن حقيقة الإسلام وحينما تطهر من رجسها، طهرت حياته ، ونرجو أن يكون قد لقي الله طاهراً ـ بالإيمان الصادق ـ من الصوفية !! واقرؤوا كتاب « تبيين كذب المفتري» لابن عساكر، وهو أشعري !! وثمت يبدو لكم أنه لم يجن على الأشعرية، وينحرف بها غير وساوس الصوفية !!

ولشد ما يدهشنا ـ نحن المسلمين ـ أن تبهتنا الصوفية بأننا مجسمة !! وأعتقد أنها تلجأ إلى هذا وتدَّارأ به، لتخدع الذين لا يعرفون حقيقتها، فتجد منهم من يظن أن الصوفية تغار على كمال الله وجلاله ووحدانيته وقيوميته ، على حين تؤمن الصوفية ـ وكتبها حجتنا في هذا ـ بأن معبودها هو هذه الأرض التي تدب عليها بأرجاسها ، وهذه اللحوم التي تلتقمها في حفلات الموالد ، وهذه الهوام والحشرات التي ترعى أجساد دراويشها ، وأولئك الاستعماريون الذين يبغون على كل حق وخير وسلام ، تعتقد الصوفية أن

(١) يقول الإمام المازري عن علاقة الغزالي بابن سينا الفيلسوف: « رأيت هذا الغزالي يعول عليه في أكثر مما يشير إليه من الفلسفة» وقال عنه السبكي في طبقات الشافعية : «وما نقم عليه ماذكر من الألفاظ المستبشعة بالفارسية في كتابه كيمياء السعادة والعلوم وشرح بعض السور والمسائل مما لا يوافق مراسم الشرع» وقال عنه القاضي أبو بكر العربي: « شيخنا أبو حامد دخل في بطون الفلاسفة، ولم يستطع أن يخرج منها» وكان أبو نصر القشيري هو وأصحابه ينشدون في شأنه:

برئنا إلى الله من معشر ... بهم مرض من كتاب الشفا
فماتوا على دين أرطالس ... ومتنا على سنة المصطفى

والشفاء كتاب لابن سينا، وأرطالس هو أرسطوفيلسوف اليونان الكبير ، ويقول الإمام ابن تيمية عن الغزالي: « وكان يُعظِّم الزهد جداً، ويعتني به ، أعظم من اعتنائه بالتوحيد الذي جاءت به الرسل» انظر ترجمة الغزالي في طبقات الشافعية للسبكي وانظر كتاب النبوّات لابن تيمية ويقول ابن رشد الحفيد عن جناية أهل التأويل على دواء القرآن : «وأول من غير هذا الدواء الأعظم هم الخوارج، ثم الأشعرية ثم جاء أبو حامد الغزالي فطم الوادي على القرى» ص ١٨٢ مناهج الأدلة.

ربّها هو كل شيء ، وعين كل شيء !! ومع هذا تتهمنا بالتجسيم ، ولكن أبى الله إلا أن يسخر عدو الحق ، لينتصر لقداسة الحق ، فسخر «ابن عربي» ليعترف وليسجل في كتابه الكبير«الفتوحات الملكية» أن عقيدة السلف هي وحدها السبيل إلى النجاة وسيدهش كثير من إخواننا حين يروننا هنا ننقل عن ابن عربي ، وهو الصوفي الذي ماسب الله أحد مثله !! ولكن ليذكر أن هذا المارد الطاغية كان على علم بشريعة الله ، بيد أنه العلم الذي كان لا يبش له منه القلب ، ولا الفكر ولا تتأثر به إرادة له ولا سلوك ، إذا كان دينه الذي لا يؤمن بغيره هو: أن هذا الكون هو الله ـ سبحانه (١).

من رأي ابن عربي في الصفات : يقدم ابن عربي لرأيه بآيات من القرآن وبأحاديث نبوية تدل على أن الله سبحانه يرضى ، ويغضب، ويحب ويكره ، ويفرح، ويعجب، ويضحك، ثم يقول : « هذا كله واجب على كل مسلم الإيمان به ، ولا يقول عاقل هنا : كيف !! ولا : لِمَ كان كذا ؟! بل يسلم ويستسلم ويصدق، ولا يكيِّف ، فإنه ليس كمثله شيء» (٢).

الجاحدون بأسماء الله وصفاته: ولا يكتفي ابن عربي بهذا، بل يشرع قلمه، ليطعن به أولئك الذين يتنكَّرون لعقيدة السلف، ويرفضون ـ في جحود ـ الإيمانَ كإيمانهم بصفات الله وأسمائه ، وقد سماهم ابن عربي «المحيلين»لأنهم يزعمون أن من المحال أن نصف الله بما وصف به نفسه ، وأن نسميه بما سمى نفسه ، وهو يعني الفلاسفة والباطنيين والإسماعيليين ، والكلاميين، وقد فصل ابن عربي آراء هؤلاء تفصيلاً جلياً ، وإليك ما يقوله : «منهم من يطعن في الرسل ، ويجعلونهم تحت سلطان الخيال والأوهام! فهؤلاء قد جمعوا بين

(١) اقرأ النصوص الوفيرة عن هذا في كتابينا: «هذه هي الصوفية ، ومصرع التصوف»
(٢) مجلد ٣ ج ١ ص ٧٥ وما بعدها الباب ٣١٥.

الجهل والمروق عن الإسلام ، فلاحظَّ لهم في السعادة. وقسم آخر منهم : قالوا : إن الرسل هم أعلم الناس بالله ، فنزلوا في الخطاب على قدر أفهام الناس، لا على ما هو الأمر عليه؛ فإنه محال ، فهؤلاء كذَّبوا الله ورسله بما نسب الله ورسوله إلى نفسه ، وقسم آخر لا يقول بأنه نزل في العبارة إلى أفهام أصناف الناس ، وإنما يقول : ليس المراد بهذا الخطاب إلا كذا، وكذا، ما المراد فيه ما تفهم العامة !! فهؤلاءأشبه حالاً ممن تقدم ، إلا أنهم متحكمون في ذلك على الله بقولهم ، فأخطؤوا في الحكم على الله بمالم يحكم به على نفسه فهؤلاء ما عبدوا إلا الإله الذي ضبطته عقولهم وقيدته وحصرته».

رده على من يؤمنون باللفظ ويكفرون بالمعنى : «وقسم آخر قالوا : نؤمن بهذا اللفظ كما جاء من غير أن نعقل له معنى ،حتى نكون في هذا الإيمان به في حكم من لم يسمع به ، ونبقى على ما أعطانا دليل العقل من إحالة مفهوم هذا الظاهر من هذا القول « فهذا القسم متحكم أيضاً ، فإنه ردّ على الله ، فإنهم جعلوا نفوسهم في حكم نفوس لم تسمع ذلك الخطاب ، وقسم آخر قالوا : نؤمن بهذا اللفظ على حد علم الله فيه وعلم رسوله ﷺ، فهؤلاء قد قالوا : إنا الله خاطبنا عبثاً لأنه خاطبنا بما لا نفهم والله يقول : ﴿**وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم**﴾(١) وقد جاء بهذا ، فقدأبان ، كما قال الله ، لكن أبى هؤلاء أن يكون ذلك بياناً» (٢).

إلحاد: ولكن ابن عربي الذي نطق هنا بالحق ، ودمغ ـ عن بينة ـ أولئك الذين جحدوا بالحق إما بالجهالة السوداء ، وإما بالزندقة الصماء إنه هو بعينه ابن عربي الذي يعتقد : أن الله سبحانه هو هذا الكون بجنه وإنسه ، وحيوانه

(١) سورة إبراهيم: ٤ .
(٢) ص ٩٢٨ مجلد ٤ الباب ٤٠٣.

ونباته وجماده وهو بعينه الذي يقول عقب ذلك ، وفي نفس الصفحة من نفس الباب عن أصحاب البصيرة : «وهم الذين كشف الله عن أعين بصائرهم غطاء الجهل ، فأشهدهم آيات نفوسهم. وآيات الآفاق فتبيَّن لهم أنه الحق ، لا غيره، فآمنوا به ، بل علموا به في كل وجه، وفي كل صورة، وأنه بكل شيء محيط ، فلا يرى العارف شيئاً إلا فيه ، فهو ظرف إحاطة لكل شيء، فمن رأى شيئاً، فما رآه إلا فيه».

وهو هو الذي سوى بين الخالق والمخلوق في الذات والصفات والأفعال، وفي الحقيقة والماهّية والوجود. اسمع إليه في كتابه فصوص الحكم يقول : «ألا ترى الحق يظهر بصفات المحدثات، وأخبر بذلك عن نفسه ، وبصفات النقص، وبصفات الذم ؟! ألا ترى المخلوق يظهر بصفات الحق من أولها إلى آخرها وكلها حق كما هي صفات المحدثات حق للحق» (١) ولنتدبر معاً قول الله : ﴿ **أفرأيت من اتّخذ إلهه هواه وأضلّه الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكّرون**﴾ (٢).

لقد أثبت ابن عربي بما قاله من قبل أنه على علم بيِّن بالحق، وأثبت بهذا القول الأخير أنه اتخذ إلهه هواه، وأنه ممن أضلهم الله على علم !!

لقد لمحنا فيه صورة القدّيس !! ولكنه مالبث أن هتك القناع عن وجه شيطان مريد !

(١) ص ٨٠ فصوص الحكم طبع الحلبي.
(٢) سورة الجاثية : ٢٣ .

رأي الشعراني

والشعراني الذي مجّد الخطايا، حتى جعلها من كرامات أوليائه، يروعك منه أن يمجد الحقيقة أيضاً، فيقول : «التفويض أسلم ، والتأويل إلى الخطأ أقرب، مع مافي التأويل من فوات كمال الإيمان بآيات الصفات ، لأن الله تعالى ما أمرنا أن نؤمن إلا بعين اللفظ الذي أنزله لا بما أولناه بعقولنا فقد لا يكون التأويل الذي أوّلناه يرضاه الله تعالى» (١).

إن ابن عربي لم يقم إلا لإفساد العقيدة الإسلامية، والشعراني لم يقم إلا لإفساد الأخلاق الإسلامية ، والنيل من قيمها الرفيعة، ولكن الله ـ سبحانه ـ أبى إلا أن يتم نوره، ولو كره المشركون ، فاعترف زعيما التصوف الإشراقي والعملي بأن عقيدة السلف هي الحق ، وهي وحدها السبيل إلى النجاة، وهذا ما يهمنا.

ولهذا أسأل الصوفية : أجادَّةٌ هي في اتهامنا بالتجسيم؟ وأسألها سؤالاً آخر: أيهما المجسم : أمَنْ يؤمن بصفات الله وأسمائه أم من يقول : إن الله في كل مكان، أو أنه هو عين المكان ؟!.

وما نقلنا عنها ما نقلنا مما أيدت به الحق إلا لنكشف للمسلمين جانباً من أخطر جوانب الصوفية وهو النفاق الذميم والتقنع بأقنعة شتى !!

(١) ص ١٠٦ جـ ١ اليواقيت والجواهر ط ١: ١٣٠٧ هـ وإليك رأي صوفي كبير أيضاً عُرف عنه العمل بجد في سبيل دك قواعد الخلق الإسلامي هو عبد العزيز الدباغ يقول تلميذه: « سألته عن أحاديث الصفات : هل الواجب فيها التفويض الذي هو طريق السلف أو التأويل الذي هو طريق الخلف، فقال: الواجب فيها التفويض ، وشأن الربوبية عظيم» ص ١٦ جـ ١ الإبريز ط ١:١٢١٢ هـ على حين يزعم في مكان آخر أن السموات السبع والأرضين والعرش داخلة وسط ذاته، وأنه رأى ولياً يستمد منه العالم بأسره وأن عوالم الغيب والملكوت والجبروت لا يجول بفكر واحد من أهلها شيء إلا بإذن من الدباغ .جـ ٢ الإبريز.

المعيـــة

يقول «الجويني» في كتابه «الإرشاد» وهو يتكلم عن وجوب تأويل آيات الاستواء : « فإن استدلوا بظاهر قوله تعالى : ﴿ **الرحمن على العرش استوى**﴾[1] فالوجه معارضتهم بآي يساعدوننا على تأويلها ، منها قوله تعالى : ﴿ **وهو معكم أينما كنتم** ﴾[2] وقوله تعالى :﴿ **أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت**﴾[3] فنسائلهم عن معنى ذلك ، فإن حملوه على كونه معنا بالإحاطة والعلم ، لم يمتنع منا حمل الاستواء على القهر والغلبة إلخ»[4]

هذا كان قوله قبل التوبة . بيد أن هذه الشبهة الجوينية قد تلقفها دعاة الخلفية ، ومضوا يشغبون بها ، ويقولون لنا كما كان يقول المؤولة من قبل: إن حملتم آيات المعية على ظاهرها نفيتم الفوقية ، واستواء الله على عرشه وكنتم مع القائلين بأن الله في كل مكان، أو بأنه ليس له مكان [5].

إن صرفتم المعية عن ظاهرها، خالفتم ما تقولون به: وهو وجوب حمل اللفظ على معناه، والانكفاف عن التأويل، وقد أوقع هؤلاء في هذه الشبهة سوء الفهم، فقد ظنوا أن كلمة «مع» نص على المعية بالذات، وأن ظاهرها يدل على المقارنة والمماسة بالذات فإذا وجدوا منا تفسيراً لها بغير ما ظنوا صاحوا : لقد تناقضتم؛ إذ صرفتم اللفظ عن ظاهره ، وأنتم تحرّمون ذلك وإني لأترك للإمام الجليل ابن تيمية الرد المحكم على هذه الشبهة.

---

(١) سورة طه : ٥.
(٢) سورة الحديد: ٤ .
(٣) سورة الرعد :٣٣.
(٤) ص ٤٠ الإرشاد.
(٥) أعجب تناقض يقع فيه مؤولة الصفات ، هو رفضهم الإيمان بأن لله العلو، وبأنه في السماء مخافة أن يتهموا بالقول بأن الله في جهة، ثم هم يؤمنون بأنه جل شأنه في كل مكان أي في جميع الجهات، أو عين الجهات أو الحال في جميع الجهات أما أصحاب : « ليس له مكان» فقد أبوا الإيمان بموجود في جهة، وارتضوا الإيمان بمعدوم والسجود لوهم ماله من حقيقة.

«**يقول القائل**: ما في الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش يخالفه في الظاهر قوله : ﴿**وهو معكم**﴾.

فإن هذا غلط، وذلك أن كلمة «مع» في اللغة إذا أُطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال ، فإذا قُيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى ، فإنه يقال : مازلنا نسير ، والقمر معنا، أو النجم معنا، ويقال : هذا المتاع معي لمجامعته لك ، وإن كان فوق رأسك فالله مع خلقه حقيقة، وهو فوق عرشه حقيقة.

ثم هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد ، فلما قال: ﴿ **يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعلمون بصير**﴾[1] دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها: أنه مطلع عليكم شهيد عليكم، مهيمن عالم بكم ، وهذا معنى قول السلف : معهم بعلمه ، وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته ، ولما قال النبي ﷺ لصاحبه في الغار : ﴿**لا تحزن إن الله معنا**﴾ كان هذا أيضاً حقاً على ظاهره ، ودلت الحال على أن حكم المعية ـ مع الاطلاع ـ النصر والتأييد وكذلك قوله لموسى وهارون : ﴿ **إنني معكما أسمع وأرى**﴾[2] هنا المعية على ظاهرها وحكمها في هذا الموطن النصر والتأييد وقد يدخل على صبي من يخيفه، فيبكي، فيشرف عليه أبوه من فوق السقف ، ويقول : لا تخف .أنا معك أو : أنا هنا ، أو : أنا حاضر. ونحو ذلك ينبهه على المعية الموجبة بحكم الحال دفع المكروه ففرق بين المعية وبين مقتضاها، وربما صار مقتضاها من معناها فيختلف باختلاف المواضع ـ فلفظ المعية قد استُعمل في الكتاب والسنة في مواضع

---

(١) سورة الحديد : ٤.
(٢) سورة طه : ٤٦ .

تقتضي في كل موضع أموراً لا تقتضيها في الموضع الآخر. فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع، أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها ، وإن امتاز كل موضع بخاصيته فعلى التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب مختلطة بالخلق ، حتى يقال : قد صُرفت عن ظاهرها»(١).

معنى الله في السماء: تقول الخلفية : إن « في » تفيد الظرفية فإذا حملنا قوله تعالى : ﴿ **أأمنتم من في السماء**﴾(٢) على ظاهره ، كان معنى هذا أن السماء تحصر الله، وتحويه فماذا تقولون يا أنصار السنة ؟

ونترك مرة أخرى للإمام الجليل ابن تيمية الرد على هذا: «ليس الأمر كما تقولون ، إذ السماء إنما يراد به العلو، فالمعنى أن الله في العلو ، لا في السفل، وقد علم المسلمون أن كرسيه ـ سبحانه ـ وسع السموات والأرض ، وأن الكرسي في العرش كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، وأن العرش خلق من مخلوقات الله لانسبة له إلى قدرة الله ـ سبحانه ـ وعظمته ، فكيف يتوهم بعد هذا أن خلقاً يحصره ويحويه؟ وقد قال سبحانه: ﴿ **ولأصلّبنّكم في جذوع النخل**﴾(٣) وقال : ﴿**فسيروا في الأرض**﴾ (٤) بمعنى على ونحو ذلك وهو كلام عربي حقيقة لا مجازاً، وهذا يعلمه من عرف حقائق معاني الحروف ، وأنها متواطئة في الغالب لا مشتركة»(٥).

وفي مكان آخر ذكر ابن تيمية : أنه لا حاجة بنا إلى أن نلجأ إلى الاستشهاد بالآيتين ، فالسماء في قوله تعالى : ﴿**أأمنتم من في السماء**﴾

(١) ذكر هذا في العقيدة الحموية، ولابن القيم بحث طويل مفصل عن المعية في مختصر الصواعق المرسلة.

(٢) سورة الملك : ١٦ .
(٣) سورة طه: ٧١ .
(٤) سورة النحل : ٣٦ .
(٥) العقيدة الحموية.

ليست هي نفس المخلوق العالي العرش فما دونه ، وإنما هي : « اسم جنس للعالي لا يخص شيئاً، فقوله: في السماء ، أي: في العلّو دون السفل وهو العلي الأعلى، فله أعلى العلو، وهو ما فوق العرش، وليس هناك غيره ـ العلي الأعلى ـ سبحانه وتعالى».

وقد قدم لهذا بقوله : « السلف والأئمة وسائرعلماء السنة إذا قالوا: إنه فوق العرش ، وإنه في السماء .فوق كل شيء لا يقولون: إن هناك شيئاً يحويه أو يحصره، أو يكون محلاً له، أو ظرفاً، ووعاء ـ سبحانه وتعالى عن ذلك ـ بل هو فوق كل شيء، وهو مستغن عن كل شيء ، وكل شيء مفتقر إليه وهو عال على كل شيء، وهو الحامل للعرش ولحملة العرش بقوته وقدرته، وكل مخلوق مفتقر إليه، وهو غني عن العرش، وعن كل مخلوق» (١).

* * *

(١) ص ١٧ وما بعدها مجموعة تفسير ابن تيمية، وتدبر بلاغة التنزيه العظيم في كلام الإمام الجليل الذي يتهمه الباغون بالتجسيم.

تحقيق مذهب السلف

يزعم بعض الناس أن دين السلف في الأسماء والصفات الإلهية هو إقرار ألفاظها على ما جاءت به مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد !! ثم يزعم هؤلاء بعد ذلك : إن دين السلف هو ـ إذن ـ دين الخلف، فالفريقان متفقان ـ هكذا يزعمون ـ على أن هذه الآيات والأحاديث ، لاتدل على صفات الله ـ سبحانه فلا خلاف ـ إذن ـ بين الفريقين إلا في أن السلف أمسكوا عن التأويل مخافة أن يكون المراد معنى آخر، أما الخلف ، فرأوا المصلحة في تأويلها، وتعيين المراد منها ! وهذا التصور لمذهب السلف مخالف للحقيقة وقد نتج إما عن سوء فهم، وإما عن سوء نية وكذب.

ويقول ابن تيمية ما مثاله : إن كان المراد من «الظاهر» صفات الخلق فلا شك في أنه غير مراد، وإن كان المراد من «الظاهر» المعاني التي تظهر من الآيات ، والأحاديث مما يليق بجلال الله وعظمته ، ولا تختص بصفات المخلوقين ، فلا ريب في أن السلف كانوا يؤمنون بهذا «الظاهر» بهذا التحديد ، ولا ينفونه مطلقاً ، ومن يَنْفِ عن السلف الإيمان بمعاني آيات الصفات وأحاديثها ، فقدأخطأ، أو تعمد الكذب ، إذ ما نُقل عن واحد من السلف ـ لا نصاً ، ولا ظاهراً ـ إلا ما يدل على أنهم كانوا يعتقدون أن الله فوق العرش ، وأن له سمعاً ، وبصراً ، ويداً حقيقة [1] .

(١) العقيدة الحموية .

وإليكم طريقة السلف كما حققها الإمام الجليل ابن تيمية : «إن طريقة سلف الأمة ، وأئمتها إثبات ما أثبته الله من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف، ولا تعطيل ، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه مع إثبات ما أثبته من الصفات من غير إلحاد، لا في أسمائه ولا في آياته» .

وفي كتاب آخر يقول: «القول في صفاته، كالقول في ذاته، والله ـ تعالى ـ ليس كمثله شيء، لا في ذاته ، ولا في أفعاله ، لكن يُفهم من ذلك أن نسبة هذه الصفة إلى موصوفها، كنسبة هذه الصفة إلى موصوفها، فعلم الله وكلامه ونزوله واستواؤه هو كما يناسب ذاته ، ويليق بها ، كما أن صفة العبد هي كما يناسب ذاته ، ويليق بها ، ونسبة صفاته إلى ذاته ،كنسبة صفات العبد إلى ذاته، ولهذا قال بعضهم: إذا قال لك السائل :كيف ينزل ، كيف يستوي، أو كيف يعلم، أو كيف يتكلم ، ويقدر، ويخلق؟! فقل له: كيف هو في نفسه ؟ فإذا قال: أنا لا أعلم كيفية ذاته، فقل له : وأنا لا أعلم كيفية صفاته، فإن العلم بكيفية الصفة يتبع العلم بكيفية الموصوف»[1] ثم يرد ابن تيمية على من يؤمنون باللفظ ، ويفوضون المعنى، وعلى غيرهم بقوله: «والمعاني المفهومة من الكتاب والسنة لا تُردّ بالشبهات، فتكون من باب تحريف الكلم عن مواضعه، ولا يعُرَض عنها ، فيكون من باب ﴿**الذين إذا ذُكِّروا بآيات ربهم لم يخرّوا عليها صُمّاً وعمياناً**﴾[2] ، ويترك تعبير القرآن، فيكون من باب الذين ﴿**لا يعلمون الكتابَ إلا أماني**[3]﴾» [4].

(١) ص ١٠ شرح حديث النزول.
(٢) سورة الفرقان : ٧٣ .
(٣) سورة البقرة : ٧٨ .
(٤) من رسالة الإكليل.

وفي كتاب آخر يذكر ما رد به مالك ـ رضي الله عنه ـ على من سأله عن الاستواء ، ثم يقول : «وهذا الجواب من مالك ـ رحمه الله ـ في الاستواء شافٍ كافٍ في جميع الصفات مثل النزول والمجيء واليد والوجه وغيرها ، فيقال في مثل النزول : النزول معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة، وهكذا يقال في سائر الصفات إذ هي بمثابة الاستواء الوارد به الكتاب والسنة»(١).

تعقيب : وهذه هي عقيدتنا نحن «أنصار السنة المحمدية» وقد تعمدت النقل عن ابن تيمية ـ ولم أنقل عن كتاب واحد ، بل عدة كتب له ـ لأن «الخلفية» في سُعار الحقد تبهت الإمام الجليل ابن تيمية بالتمثيل والتجسيم ولا تصب حميم غضبها على أحد من أئمة المسلمين كما تصبّه على الإمام ابن تيمية.

فهل فيما نقلت لك عن «ابن تيمية» أثارة مما بهتوا به شيخ الإسلام الذي حطم أوثان الخلفية ؟!

تدبر ما كتبه الإمام مرات ومرات، فلن تجد لما بهتوه به سوى وهم تخيّل أنه ظل من حقيقة ، وسوى «خلفية» تعبر عن ضغينة مسعورة ضد الكتاب والسنة!!

ولقد بهتَنا بعض الناس ظالمين، بأننا نمثل صفات الله ـ جل شأنه ـ بصفات خلقه ، لأننا ندين بهذه العقيدة القرآنية التي نافح عن قدسها الطهور شيخ الإسلام ابن تيمية ، فتدبر ما كتبه شيخ الإسلام، فهو عين ما نقول؛ لأنه الحق الذي بيّن القرآن.

ثم قل لي: أيجوز أن يُتهم أنصار السنة بذلك البهتان الأثيم؟!

(١) ص ٣ نقض المنطق.

فليتق الله أناس يعرفون الحق من أمرنا ، كما يعرفون أبناءهم ولكنهم ـ رغم هذا ـ يكتمون الحق ، وهم يعلمون ، ويقلدون عدّو الإسلام في اتهامهم للمسلمين !!

طريقة السلف هي الأسلم والأعلم والأحكم

يزعم دعاة «الخلفية» أن طريقة السلف (١) أسلم ، وأن طريقة الخلف أعلم وأحكم ، وسنترك للإمام الجليل أيضاً الرد على هذه الفرية : «إن هذا القول إذا تدبره الإنسان وجده في غاية الجهالة ، بل في غاية الضلالة ، كيف يكون هؤلاء المتأخرون ـ ولا سيما والإشارة بالخلف إلى ضرب من المتكلمين الذين كثر في باب الدين اضطرابهم وغلظ عن معرفة الله حجابهم ـ أعلم بالله وآياته من السابقين من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان من ورثة الأنبياء ، وخلفاء الرسل ، وأعلام الهدى ، ومصابيح الدجى ، الذين بهم قام الكتاب ،وبه قاموا ، وبهم نطق الكتاب ، وبه نطقوا، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة مابرزوا به على سائر أتباع الأنبياء، وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جُمعت حكمة غيرهم إليها ، لاستحيا من يطلب المقابلة، ثم كيف يكون خير قرون الأئمة أنقص في العلم والحكمة ، ولاسيما العلم بالله ، وأحكام أسمائه وآياته من هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم؟، أم كيف يكون أفراخ الفلسفة ، وأتباع الهند واليونان(٢) أعلم بالله من ورثة

(١) السلف هم أصحاب الرسول والتابعون لهم بإحسان أما الخلف فُتطلق على المتكلمين من الأشاعرة وأتباعهم والمقلدين وقد يدخل فيهم أتباع «الماتريدي».

(٢) يشيرالإمام الجليل بهذا إلى المصادر التي استمد منها علماء الكلام أو الخلف معارفهم الكلامية ، وهذه حقيقة يشهد بها كل الباحثين في تراث علم الكلام.

الأنبياء، و أهل القرآن والإيمان» [1] ؟!

ويقول أيضاً عن السلف «إنهم أفضل من الخلف في كل فضيلة من علم وعمل وإيمان وعقل ودين وبيان وعبادة، وأنهم أولى بالبيان لكل مشكل ، هذا لا يدفعه إلا من كابر المعلوم بالضرورة من دين الإسلام وأضله الله على علم» ثم استشهد بقول «عبد الله بن مسعود» ـ رضي الله عنه ـ : «أولئك أصحاب محمد أبرّ هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم ، وتمسكوا بهديهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم» ويقول الشافعي في رسالته عن السلف : «هم فوقنا في كل علم وعقل ودين وفضل ، وكل سبب يُنال به علم ، أو يُدرك به هدى ورأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا» [2].

وارجع إلى ما نقلناه عن «الغزالي» في شأن السلف.

من هذا كله يتبين لك أن طريقة السلف هي الأسلم والأعلم والأحكم ، وأن طريقة الخلف شك وحيرة وضلالة !! كما قال كبيرهم : «لقد خضت البحر الخضم، وخليت أهل الإسلام وعلومهم ، وخضت في الذي نهوني عنه، والآن إن لم يتداركني ربي برحمته ، فالويل لابن الجويني ، وها أنذا أموت على عقيدة أمي ، أو قال : عقيدة عجائز نيسابور»[3].

أفرأيتم الميراث الذي ورثه عن الخلفية ؟.

إنه القلق الذي دمر سكينته ، والرعب الرهيب الذي زلزل كيانه، فهفا كالطفل الخائف المذعور يلوذ بأكناف أمه !!

(١) ص ٤١٦ جـ ١ مجموعة الرسائل « رسالة الحموية».

(٢) ص ١٢٩ باختصار عن كتاب نقض المنطق طبع مطبعة السنة المحمدية.

(٣) ص ٦١ نقض المنطق ويقول عنه شيخ الإسلام ابن تيمية « وفي آخر عمره رجع عن هذه العقيدة ـ عقيدة نفي الاستواء ـ ومات على دين أمه وعجائز نيسابور» ص ٥٢ نقض المنطق.

وإن كلمته لأصدق تعبير عن ذلك الخنوع الذي يسيطر على أمثال هؤلاء بعد عُتُو التمرد ، وعَمَه الجحود.

فليتدبر من لايزال يحسن الظن بالخلف، حتى لا يضطر إلى أن ينوح على نفسه بما ناح به ذلك التعس المسكين: «الويل لي!! وها أنذا أموت على عقيدة أمي».

كلمة أخيرة : لقد وصف الله كتابه بقوله :﴿ **هذا بيان للناس** ﴾[1] وبقوله: ﴿ **قل هو للذين آمنوا هدىً وشفاءٌ والذين لا يؤمنون في آذانهم وقرٌ وهوعليهم عمىً**﴾[2] وبقوله: ﴿ **ما كان حديثاً يُفترى ولكن تصديقَ الذي بين يديه وتفصيلَ كل شيء**﴾.[3]

وقال سبحانه : ﴿ **ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً * يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً * لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً**﴾.[4]

وقال سبحانه :﴿ **ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون**﴾.[5]

أيستطيع الخلفيون أن ينكروا هذه الآيات الإلهية؟!

أيستطيع أحدهم أن يقول : إنّ كتب الكلام هدىً وشفاء؟! إنها الخليل الذي أضل الخلفية عن الذكر الإلهي، إنها الشيطان الخذول الذي صرفهم عن هدى الله!!

وهذه إشراقة من نور الحق ، ودعاء خالص منه وإني لأضرع إلى الله أن تضيء بها القلوب. إنه ـ سبحانه ـ قريب مجيب

عبد الرحمن الوكيل

(١) سورة آل عمران: ١٣٨ .
(٢) سورة فصلت : ٤٤ .
(٣) سورة يوسف: ١١١ .
(٤) سورة الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩.
(٥) سورة الزمر : ٢٧.

ترجمات موجزة

الجهمية: أتباع الجهم بن صفوان الجبري المعطل ، وسيأتي ذكره في القدرية .

الحرورية: حينما ارتضى علي ومعاوية ـ رضي الله عنهما ـ التحكيم فيما نشب بينهما من خلاف وقتال ، أنكر هذا بعض من لا يحبون أن تتوحد كلمة المسلمين ، ثم قالوا : «لاحكم إلا لله» وهي كلمة حق أُريدَ بها باطل ، وسرت هذه الكلمة مسرى السحر في قلوب فريق كبير من جنود علي ، جعلتهم يثورون على «علي» لقبوله مبدأ التحكيم ، وهم الذين حملوه من قبل على الخضوع له، وبعد رجوع «علي» من معركة صفين إلى الكوفة انحاز هؤلاء الثائرون ـ وكانوا اثني عشر ألفاً ـ إلى قرية بظاهر الكوفة تسمى : «حروراء» فلُقب هؤلاء الثوار : «بالحرورية» وهم أول نابتة نبتت من الخوارج، وقد حدثت بينهم وبين علي ، وبين الذين تولوا بعده معارك طاحنة، ويقول الخوارج بكفر مرتكبي الذنوب وبخلودهم في النار «وأصل مذهبهم ـ كما يقول ابن تيمية ـ تعظيم القرآن، وطلب اتّباعه ، ولكن خرجوا عن السنة والجماعة»[1].

الرافضة: أغرت الشيعة زيدَ بن علي بن الحسين بالخروج على هشام بن عبد الملك أحد خلفاء بني أمية ، فخرج عليه بالكوفة، ونقض بيعته وقد حاول الشيعة حمل زيد على البراءة من أبي بكر وعمر ولعنهما، فأبى ، وترحم

(١) ص ١٦٢ مجموعة الرسائل الكبرى.

عليهما. قالوا له : ماتقول في أبي بكر وعمر؟ فقال: وما عسيت أن أقول فيهما؟ صحبا رسول الله ﷺ بأحسن الصحبة ، وهاجرا معه، وجاهدا في الله حق جهاده، ما سمعت أحداً من أهل بيتي تبرأ منهما ، ولا يقول فيهما إلا خيراً ، وإنما ولِّيا علينا ، وعلى الناس ، فلم يألُوَا العمل بكتاب الله وسنة رسوله.

فثاروا عليه ، ورفضوا إمامته ، ثم تخلوا عنه، فقُتل فأُطلق عليهم: الرافضة، أما الذين ظلوا على الولاء له فسُمُّوا: الزيدية، والرافضة يغلون في تقديس أئمتهم غلواً فاحشاً وإليك ما جاء عن الأئمة في كتاب «الكافي» للكليني، وهو بالنسبة لهم كالبخاري بالنسبة لأهل السنة: «باب أن الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل ، باب أن الأئمة يعلمون متى يموتون ، وأنهم لا يموتون إلا باختيارهم، وأن الأئمة يعلمون علم ما كان، وعلم مايكون، وأنه لا يخفى عليهم شيء، باب أن الأئمة إذا ظهر أمرهم حكموا بحكم داود وآل داود» [1].

القدرية : لهذا المصطلح مدلولان، فيُقصد بأحدهما أولئك الذين يكفرون بقدر الله ، وعلمه السابق، ويكفرون بهذه الحقيقة المقدسة، وهي أن الله فعال لما يشاء ، وهؤلاء هم أساتذة المعتزلة : وأول من أظهر هذه المقالة هو معبد بن عبد الله الجهني متأثراً فيها بأستاذه النصراني «سوسن» وقد قام عبد الملك بن مروان بصلب معبد سنة ٨٠ في دمشق ، وقد أظهر هذه المقالة أيضاً غيلان الدمشقي ، وقد بالغ في نفي القدر خيره وشره، وبمقالته هذه قتله هشام بن عبد الملك، ثم الجعد بن درهم، وهو أول من نفى الصفات وقد قتله في عيد الأضحى خالد بن عبد الله القسري أحد ولاة بني أمية[2] بواسط : لأنه زعم ـ

(١) لماذا اختصوا بالذكر داود ؟ فالصهيونية تقول عن موعودها المزعوم نفس هذه المقالة.

(٢) ذبحه خالد أسفل المنبر ما بين سنة ١١١، ١٢٠هـ.

كما قال خالد ـ أن الله لم يكلم موسى ، ولم يتخذ إبراهيم خليلاً.

والتطرف في النفي يثير التطرف في الإثبات، لهذا نجم مقابل هؤلاء طائفة أخرى لُقبوا بالقدرية أيضاً ، ولكن بمعنى مباين للمعنى الأول، فهم يثبتون قدر الله ، ويلقون عليه كل تبعة ، ويحملونه كل مسئولية وينفون الشرع والاختيار وحرية الإرادة الإنسانية ، ولهذا يُلقبُّون بالجبرية، إذ يحكمون على الإنسان بأنه مجبور على كل فعل يأتيه ، ولا يفرقون بين أمر الله ونهيه، ولا بين ما يحبه ويكرهه، ولا بين ما يرضيه ويغضبه، ولا بين أولياء الله وأعدائه فالإنسان لا يستحق ثواباً على طاعة، ولا عقاباً على معصية : إذ لا يد له في طاعة أو معصية.

القدريون الأولون لُقبِّوا بهذا ، لأنهم تكلموا في قدر الله ، فأدى بهم الكلام إلى نفيه، ونفي علم الله ومشيئته معاً، فضاهوا الثنوية القائلين بوجود إلهين أحدهما هو الخالق للخير، والآخر هو الخالق للشر والقدريون الآخرون سُمّوا قدرية، لأنهم تكلموا أيضاً في قدر الله، فأدى بهم الكلام إلى إثباته، وإلى نفي شرع الله، وأفعال الإنسان الاختيارية، فنفوا بهذا حكمة الله وعدله وإحسانه، وبهتوا بالجور والسفه وسوّوا بين حبه ومقته، وبين رضاه وسخطه، وقالوا : لا يُحمد المؤمن؛ لأنه مجبور ، ولايُذم الكافر؛ لأنه مجبور»[1] .

(١) يقارن ابن تيمية بين القدرية النفاة، وبين القدرية المجبرة ، فيقول « والإقرار بالأمر والنهي والوعد والوعيد مع إنكار القدر خير من الإقرار بالقدر مع إنكار الأمر والنهي والوعد والوعيد» ولهذا لم يكن في زمن الصحابة والتابعين من ينفي الأمر والنهي والوعد والوعيد .. وكلما ضعف من يقوم بنور النبوة قويت البدعة» ص ١١٢ الرسالة التدمرية، كما يقول عن القدرية الجبرية أيضاً : «وإن من أنكر الأمر والنهي ، أو لم يقر بذلك فهو مشرك صريح كافر أكفر من اليهود والنصارى والمجوس ، كما يوجد ذلك في كثير من المتكلمة والمتصوفة أهل الإباحة ونحوهم، ولهذا لم يظهر هؤلاء ، ونحوهم في عصر الصحابة والتابعين لقرب عهدهم بالنبوة، وإنما ظهر أولئك القدرية المجوسية » يعني الذين ينفون قدر الله، لأن مذهبهم فيه تعظيم =

وشيطان هؤلاء هو «جهم بن صفوان» الذي ظهر في أخريات القرن الأول الهجري بترمذ ، وأوغل في الفتنة الشعواء التي أضرم ثورتها الخائن «الحارث ابن سريح» واستعان فيها بمشركي الترك ضد إخوانه العرب المسلمين في أواخر ملك بني أمية بخراسان، وقد ظفر «سلم بن أحوز» بجهم، فقتله بمرو على شط نهر بلخ . وإلى جهم تُنسب الجهمية وقد نعق جهم ببدع شتى ، فهو جبري ، وهو حلولي معطل، فهو يزعم أنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا لله وحده؛ حتى فعل الملحدين والزنادقة، وإنما تُنسب الأفعال إلى الناس على سبيل المجاز كما يزعم أن الإيمان هو المعرفة فحسب، ولا يُشترط فيه لا الإقرار ولا القيام بالطاعات، كما يزعم أن الله في كل مكان بذاته وأنه لا يجوز أن يوصف الله بأنه حي، أو عالم ، أو مريد ولا بغيرها من الصفات التي تُطلق على الخلق كما لا يجوز أن يقال عن الله إنه تكلم بالقرآن، ولعلك تلحظ الشبه القوي بين الجهمية، وبين الخلفية، وقد صدق من نعت المتأخرين من الأشاعرة بأنهم مخانيث الجهمية.

المرجئة: تطرف الخوارج في الحكم على مرتكبي الذنوب بالكفر وبأنهم مخلدون في النار (فنبتت طائفة يُرجئون أمر أهل الذنوب من المسلمين إلى الله ـ تعالى ـ ولا يقطعون في شأنهم بأمر ويقولون : إن شاء الله عفا عنهم وإن شاء عذبهم ، ويحتجون بقوله ـ سبحانه: ﴿**وآخرون مُرْجَوْنَ لأمر الله**﴾[1] كما يقولون: إن إخلاف الوعد كذب، وإخلاف الوعيد عفو وتفضل وكرم وجائز أن يخلف الله وعيده، فلا يعذب أحداً من أهل الكبائر، ويجوز أن

= للأمر والنهي والثواب والعقاب فهم أقرب إلى الكتاب والسنة والرسول والدين من هؤلاء المعطلة للأمر والنهي ، فإن هؤلاء من شر الخلق». ص ١٦١ مجموعة تفسير ابن تيمية.

(١) التوبة : ١٠٦ .

يعذبهم بقدر ذنوبهم)[1]على أن بعضهم قد تطرف حتى حكم بأنه لا تضر مع الإيمان معصية.

ومن المرجئة على دين القدرية النافين لقدر الله، ومنهم طائفة أخرى على دين الجبرية ، ومنهم طائفة تقول ـ فحسب ـ بالإرجاء المحض.

المعتزلة: هناك خلاف حول السبب الذي من أجله أُطلق عليهم هذا اللقب ولكن أشهرها يقرر أن رجلاً سأل الحسن البصري عن حكم مرتكب الكبيرة، وقد كان لهذه المسألة ـ مسألة الحكم على مرتكب الكبيرة ـ شأن كبير، إذ كان الخوارج كما قلنا يحكمون بكفر أهل الذنوب من أهل القبلة، وبأنهم مخلدون في النار.

وحينما سُئل الحسن البصري عن حكم مرتكب الكبيرة هل يُعدُّ كافراً أولا؟ أسرع تليمذه واصل بن عطاء الغزَّال يجيب بقوله : أنا لا أقول عنه : «إنه مؤمن مطلق ، أو كافر مطلق ، وإنما هو في منزلة بين المنزلتين»، ثم قام واعتزل مجلس الحسن ، فقال الحسن: «اعتزل عنا واصل» فسموا معتزلة أما هم، فيلقبون أنفسهم بأهل العدل والتوحيد. وهكذا وافق واصل وعمرو بن عبيد قطبا المعتزلة الكبيران الخوارج في الحكم على أصحاب الكبائر بأنهم مخلدون في النار، وبأن ليس معهم من الإسلام شيء.

وينفي المعتزلة صفات الله ، ويزعمون أن الله لا يشاء ما يكون، وأنه لا يكون ما يشاء الله ، وبأن الله غير خالق لأفعال العباد ، إذ العبد هو الخالق لأفعال نفسه ، كما يحكمون على الله بأنه يجب عليه فعل الأصلح.

كما يزعمون أن كلام الله مخلوق ، فإذا شاء أن يتكلم خلق لنفسه كلاماً

(١) هذا الكلام يوهم أنه قول مبتدع وليس كذلك إذ إنه قول أهل السنة الذي دلت النفوس عليه الأدلة به تجمع النصوص ـ كما هو مقرر في عقائد أهل السنة.

في جسم، فيكون فيه متكلماً ، ولهذا قالوا بخلق القرآن وأضرموا بسببه الفتنة الكبرى في أيام المأمون الذي حاول حمل أئمة الدين في عهده على القول بأن القرآن مخلوق وقد ظل للمعتزلة السلطان من أيامه إلى عهد المتوكل.

والمعتزلة من ضحايا العقل الإنساني المغرور المختال بقدرته على الوصول إلى سرائر الحقائق الدينية وحده، وعلى اكتناه أسرار الألوهية في الصفات والأسماء ، فأوغلوا مع غرور العقل، فضل بهم ضلالاً بعيداً عن الصواب، لقد كانت غايتهم ـ كما يقول ابن تيمية : «إثبات توحيد الله ورحمته وحكمته وصدقه وطاعته، لكنهم غلطوا في بعض ما قالوه»[1].

هذا وقد كان للجدل النصراني في الشرق، ولبعض فنون التراث الفكري اليوناني تأثير كبير على المعتزلة.

ومن أشهر أئمة المعتزلة واصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد ، وهما المؤسسان الحقيقيان للاعتزال، وقد توفيا في منتصف القرن الثاني الهجرى، ومنهم أبو الهذيل العلاف والنظام والجاحظ والجبائي أستاذ الأشعري . هذا ونحن نلحظ في الآونة الأخيرة اهتماماً كبيراً بنشر كتب المعتزلة.

مقارنة : يعقد الإمام ابن تيمية مقارنة بين المعتزلة والجبرية والمرجئة فيقول : «المعتزلة من القدرية أصلح من الجبرية والمرجئة ونحوهم في الشريعة علمها وعملها ، فكلامهم في أصول الفقه ، وفي اتباع الأمر والنهي خير من كلام المرجئة الأشعرية، فإن كلام هؤلاء في أصول الفقه قاصر جداً، وكذلك هم مقصرون في تعظيم الطاعات والمعاصي، ولكن! هم في أصول الدين أصلح من أولئك فإنهم يؤمنون من صفات الله وقدرته وخلقه بما لا يؤمن به أولئك ،

(١) ص ٧٥ جـ ١ مجموعة الرسائل الكبرى

وهذا الصنف أعلى ، فلهذا كانت المرجئة في الجملة خيراً من القدرية ، حتى إن الإرجاء دخل فيه من الفقهاء من أهل الكوفة وغيرهم، بخلاف الاعتزال فإنه ليس فيه أحد من فقهاء السلف وأئمتهم».

التأويل : هو نفس المراد من الكلام ، فإن كان الكلام دالاً على طلب ، فإن تأويله هو عين الفعل المطلوب ، وإن كان إخباراً، فإن تأويله هو عين الأمر المخبَر به حتى يقع، كما إذا وقع ما أخبر به القرآن في يوم القيامة، وقد يكون معنى التأويل تفسير الكلام وبيان معناه.

غير أن الخلفية أو علماء الكلام أبوا إلا أن يحرّفوا الكَلِم عن مواضعه، ويقترفون إفساد المعاني ، ليقترفوا إفساد المعقول والمنقول ، فتفسد القلوب والعقول ، لهذا ابتدعوا للتأويل معنى آخر لا صلة له بلغة القرآن وهو : صرف اللفظ عن معناه إلى معنى آخر بدليل !! وقد يكون الدليل وهماً وهوى.

وعلى الآخذين بهذا التحريف لكلمة التأويل واجبان:

أولهما: إقامة الدليل على أن اللفظ يحتمل المعنى الذي صرفوه إليه.

والآخر: إقامة الدليل على وجوب صرف اللفظ عن معناه الحقيقي إلى المعنى الآخر الذي اقترفوه له.

أفعند المؤولة هذه الإحاطة الشاملة بلغة العرب ؟؟

علم الكلام والمتكلمون: يقول ابن خلدون عن علم الكلام: «إنه علم حادث في الملة» ،كما يقول ابن تيمية : «أهل الكلام: أصل أمرهم هو النظر في العلم ودليله ، فيعظمون العلم ، وطريقه، وهو الدليل والسلوك في طريقه ، وهو النظر» (١) .

(١) مجموعة الرسائل الكبرى.

تعريفه: لعلم الكلام تعريفان عند أصحابه ، فالذين جعلوا «المعلوم» أي كل ما يتعلق به العلم مطلقاً ـ موضوعاً لعلم الكلام، عرفوه بأنه علم يُبحث فيه عن أحوال الواجب «أي الله» وأحوال الممكن «أي ما سوى الله» من حيث المبدأ والمعاد.، ويزعم هذا الفريق أن مقصودهم الأول هو: العلم بواجب الوجود «أي الله» وصفاته وأفعاله. أما البحث عن أحوال الممكن، فهو وسيلة لما سبق.

وفريق آخر يعرّفه: بأنه العلم بالأحكام الشرعية الاعتقادية عن دليل قاطع سمعي ، وينكر هذا الفريق منهج الفريق الأول، وقد حاول البعض وضع تعريف آخر محاولاً به الجمع بين منهج الفريقين، فعرفوه بقولهم : إنه العلم بالأحكام الشرعية الاعتقادية عن دليل قاطع عقلي ، أو سمعي أو وجداني ، وقد ظنوا بهذا التلفيق أنهم يرضون أصحاب الحديث والفقه والتصوف.

لماذا سُمي بعلم الكلام؟ يقال: إنه سُمّي بهذا لما فيه من المناظرة على البدع، كلام صِرف ، فهو ـ إذن ـ يورث قدرة في الكلام. وقيل: لأن المسألة التي كثر التنازع والخوض فيها هي : مسألة الكلام النفسي، أو لأن المتكلمين أرادوا مقابلة الفلاسفة في تسميتهم فناً من فنون علومهم بالمنطق ، وقد أُعطي «الكلام» مفهومه الاصطلاحي في عهد المأمون.

نشأته وتطوره: لم يتكون علم الكلام دفعه واحدة ، وإنما مر ـ كغيره من معارف العقل الإنساني ـ بعدة مراحل ، ولقد مرّ بنا طرف من قصة الخلاف حول مرتكب الكبيرة ، وحول القدر وحرية الإرادة الإنسانية.

ولهذا يقول ابن خلدون : «حدث خلاف في تفاصيل العقائد، فدعا ذلك إلى الخصام والتناظر والاستدلال بالعقل زيادة إلى النقل».

وقد استعان المتكلمون في تناظرهم ومجادلتهم بتراث نصارى المشرق

كالملكانية في دمشق ، والنسطورية في البصرة وبغداد، كما استعانوا بالتراث لغنوصي والفلسفة اليونانية.

وهكذا سيطرت الثقافات غير الإسلامية على عقول ينتسب أربابها إلى لمسلمين واستطاعت أن تفرض الحلول التي وضعتها من قبل لمثل هذه لمشكلات التي نجمت.

وهكذا ـ أيضاً ـ صارت هذه المشكلات المزعومة بحلولها وشروحها غير لإسلامية من أصول العقائد عند علماء الكلام أو الخلف !!

وقد طور أئمة الأشاعرة ـ كالباقلاني ، والجويني ، والرازي ـ علم الكلام م جاء المتأخرون منهم فأسرفوا ـ كما يقول ابن خلدون ـ في مخالطة كتب لفلسفة ، حتى التبس شأن الموضوع في العلمين ـ أي في الفلسفة والكلام ـ التبست مسائل الكلام بمسائل الفلسفة، كما فعل البيضاوي في الطوالع ، الإيجي في المواقف، وغيرها.

ويقول السعد ـ عن هذا ـ في شرحه للعقائد النسفية: «لما نُقلت الفلسفة إلى لعربية ، وخاض فيها الإسلاميون حاولوا ـ أي علماء الكلام ـ الرد على لفلاسفة فيما خالفوا فيه الشريعة ، فخلطوا بالكلام كثيراً من الفلسفة، إلى أن درجوا فيه معظم الطبيعيات والإلهيات، وخاضوا في الرياضيات حتى كاد لا تميز عن الفلسفة لولا اشتماله على السمعيات»[1] هذا قول السعد، وهو من ئمة علماء الكلام عندالأشاعرة، فليتدبر الخلف ما يقوله من يؤمنون بقولهم !!

موضوعات علم الكلام : إليكم بعض مسائل علم الكلام كما يدرس الآن: تعريف العلم ، وتقسيمه إلى تصور وتصديق، والكلام حول تلك التعريفات

(١) ص ٦٠ طبعة ١٣٣١هـ .

للعلم، وتعريف التصور ، وتعريف التصديق.

الكلام في العلوم الضرورية ، وفي النظر ووجوبه ، وهل أول الواجبات معرفة الله ، أو النظر فيها ، أو القصد إليها ؟ والكلام في أحوال الوجود وأحوال العدم، وفي تصور الوجود أهو بديهي أم غير بديهي ، وهل هو مشترك أوغير مشترك ، وهل هو الذات ، أو هو قدر زائد على الذات؟

والكلام في أحكام الواجب والممكن والممتنع ، وخواص الواجب والممكن، الكلام في الجواهر والأعراض ، وفي الكم والخلاء والملاء والجوهر الفرد» هذه بعض مسائل علم الكلام التي يُفرَض على رجال الدين أن يعتقدوا أن الإيمان يتوقف على معرفتها ومازالت «العقائد النسفية» بشروحها وحواشي شروحها[1] والجدل العقيم حول ألفاظ متنها ، وحول مايريده المؤلف منها ، كأنما ألفاظها وحي إلهي مقدس ، مازالت تُدرَّس ويُفرض على الطلاب الإيمان بكل كلمة فيها ، وبأنها تمثل العقيدة الإسلامية، قد ينقضي العام كله، والطالب المسكين لما ينقض من فهم الأولى من متن العقائد النسفية، وهي « قال أهل الحق حقائق الأشياء ثابتة والعلم بها متحقق ، خلافاً للسفسطائية» إذ لابد أن يعرف الطالب مَن هم أهل الحق ، ومفهوم كلمة الحق ، والفرق بين الحق وبين الصدق وحقيقة الإضافة ـ بين كلمة أهل، وكلمة الحق ، وأن يحيط بتعريف كلمة شيء والمراد بحقيقة الشيء ، أهي ما به الشيء هو هو، أم هي غير ذلك؟ ثم بماذا يجيب إن اعترض عليه معترض بأن هذا التعريف يصدق على العلة الفاعلية، كما يجب على الطالب أن يعرف ماذا يقول عن الشيء باعتبار تشخصه، وباعتبار تحققه ، ومعنى ثبوت حقائق الأشياء ، وهل الثبوت

(١) لايزيد المتن الأصلي للعقائد عن صفحتين ، ولكنه أصبح بالشرح والحواشي يزيد عن خمسمائة صفحة !

والتحقيق والوجود والكون ألفاظ مترادفة ، أو هي ألفاظ لكل منها معناه الخاص به ، وإن كان ذلك كذلك ، فما الفروق اللغوية بينها؟!

بل قد يقف طويلاً عند تعبيرات المؤلف نفسه ليبين أسرار العبقرية البلاغية في بيانه ، فيسمع من شيخه: لماذا عبر المؤلف بكذا ، ولم يعبر بكذا ؟ ولماذا قدّم ما قدّم ، وأخّر ما أخّر واختار التعبير بالفعل دون الاسم ؟ وقد يتبين الطالب المسكين بعد أسابيع قضاها في تعلم سريرة البلاغة في تعبير المؤلف ، أن هناك خطأ مطبعياً في العبارة نفسها !! وأن شيخه كان يحاول بيان الإعجاز البلاغي في هذا الخطأ المطبعي نفسه ، إذ هو يخاف من النقد حتى للخطأ البين ، ولا يحاول اقترافه ، لكيلا تحل به لعنة المؤلف المقدس !!

هذا مثل مما يدرسه رجل الدين ، ويقال له عنه: إنه هو عقيدة الإسلام ، ويُفرض عليه الإيمان به إيماناً مطلقاً !!

ترى هل يطمئن رجل الدين نفسه بهذه الترّهات الجدلية التي أوجبوا عليه الإيمان بها اعتناقها؟ وهل يطمئن إليها؟ أو يعطف إليها زمامه! أنا لا أرتاب في أن رجل الدين نفسه يطوي نفسه على شكوك رهيبة، وريب معتمة ، وكراهية مقيتة لهذه الترّهات، ولكنه يخاف التعبير عن ذات نفسه مخافة أن يوصم بالزيغ والإلحاد.

وياويح الشيخ حين يتجلى له في وضوح أن أدلة المعتزلة مثلاً في مسألة ما أقوى من أدلة الأشاعرة، وتبطل ما ذهبوا إليه . تُرى ماذا يفعل؟ المفروض عليه أن يؤمن بأن كل دليل أشعري هو فوق كل دليل وإن كان الدليل الأشعري تعبيراً عن أفن الباطل وشحوب الاحتضار الفكري ، والمفروض عليه أن يقول لطلابه كذلك !! فكيف يستطيع الملاءمة بين باطن متمرد يدعوه إلى الثورة ، وظاهر مُستَخذ مستسلم في صغار ، وكيف يصمد أمام هذه النظرات التي

تدل على المعرفة، والتي يصوبها بعض طلبته إليه في تحدٍّ وإشفاق هو أقسى من السخرية!!

السلف وعلم الكلام: يقول الإمام الجليل ابن تيمية : «والسلف لم يذموا جنس الكلام ، فإن كل آدمي يتكلم ، ولاذموا الاستدلال والنظر والجدل الذي أمر الله به ورسوله والاستدلال بما بينه الله ورسوله، فالكلام الذي ذمه السلف هو الكلام الباطل ، وهو المخالف للشرع والعقل ، ولكن كثيراً من الناس خفي عليهم بطلان هذا ا لكلام ، فمنهم من اعتقده موافقاً للشرع والعقل ، حتى اعتقد أن إبراهيم الخليل استدل به، ومن هؤلاء من يجعله أصل الدين ، ولا يحصل الإيمان ، أولا يتم إلا به ، ولكن من عرف ما جاء به الرسول ، وما كان عليه الصحابة ، علم بالاضطرار أن الرسل والصحابة لم يكونوا يسلكون هذا المسلك فصار من عرف ذلك يعرف أن هذا بدعة، وكثير منهم لا يعرف أنه فاسد... أما الحذاق العارفون بحقيقته ، فعلموا أنه باطل عقلاً وشرعاً ، وأنه ليس بطريق موصل إلى المعرفة، بل إنما يوصل من اعتقد صحته إلى الجهل والضلال ، ومَن تبين له تناقضه أوصله إلى الحيرة والشك ، ولهذا صار حذاق سالكيه ينتهون إلى الحيرة والشك» (١).

شك علماء الكلام: ويحدثنا الإمام الجليل عن سمات علماء الكلام فيقول : « تجدهم أعظم الناس شكاً واضطراباً، وأضعف الناس علماً ويقيناً وهذا أمر يجدونه في أنفسهم ، ويشهده الناس منهم ، وشواهد ذلك أعظم من أن تُذكر هنا .. ومازال أئمتهم يخبرون بعدم الأدلة والهدى في طريقهم ، كما ذكرناه عن أبي حامد الغزالي وغيره، حتى قال أبو حامد الغزالي : «أكثر الناس شكاً

(١) ص ١١٤ ج ١ مجموعة الرسائل الكبرى

عند الموت أهل الكلام» وهذا أبو عبد الله الرازي من أعظم الناس في هذا الباب ـ باب الحيرة والشك والاضطراب ـ لكن هو مسرف في هذا الباب، بحيث إنه يتهم في التشكيك دون التحقيق بخلاف غيره.. وكان من فضلاء المتأخرين وأبرعهم في الفلسفة والكلام ابنُ واصل الحموي كان يقول : أستلقي على قفاي، وأضع الملحفة على نصف وجهي ، ثم أذكر المقالات ، وحجج هؤلاء وهؤلاء ، واعتراض هؤلاء ، حتى يطلع الفجر ، ولم يترجح عندي شيء»[1].

رأي ابن تيمية في أدلة الكلام: يقول: «النظر والاستدلال الذي يدعون إليه، ويوجبونه ، ويجعلونه أول الواجبات وأصل العلم نظر واستدلال ابتدعوه ليس هو المشروع لا خبراً ، ولا أمراً ، وهو استدلال فاسد لا يوصل إلى العلم»[2] وفي مكان آخر يقول : «إن جميع ما ابتدعه المتلكمون وغيرهم مما يخالف الكتاب والسنة باطل ولا ريب» [3] ويقول عن صاحب علم الكلام: «إنه يرد باطلاً بباطل ، وبدعة ببدعة» [4] «إن الذين لبسوا الكلام بالفلسفة من أكابر المتكلمين تجدهم يعدون من الأسرار المصونة والعلوم المخزونة ما إذا تدبره من له أدنى عقل ودين وجد فيه من الجهل والضلال مالم يكن يظن أن يقع فيه هؤلاء» [5] وكل ما قاله شيخ الإسلام وسبق به حق يثبته تاريخ هؤلاء جميعاً.

رجاء: آن الأوان للأزهر ـ وهو الملاذ الكبير لطلبة العلم من جميع الأقطار الإسلامية ـ أن ينظر إلى علم الكلام النظرة الصادقة ، وأن يزنه بميزان العدل والحق، وأن يؤكد لطلابه أنه لا يعبر عن عقيدة القرآن وإنما يعبر عن عقيدة

(١) ص ٢٥ نقض المنطق.
(٢) ص ٣٩ النبوات .
(٣) ص ١٢٨ النبوات .
(٤) ص ١٦٤ مجموعة تفسير ابن تيمية.
(٥) ص ٥٢ نقض المنطق.

أصحابه ، ويؤكد لهم أنه لا ينتسب إلى الإسلام بأدنى رحم، وإنما ينتسب إلى أهواء وثقافات كان هَمُّ أصحابها الأول هو القضاء على الإسلام ، وأنه لا يصلح أبداً لهداية أمة ، ولالهداية فرد واحد !! وأننا نجترح جريرة كبرى إذا نحن حاولنا التبشير به بين الشعوب التي نريد أن تفيء إلى نور الإسلام !! وليسأل كل شيخ يزعم أنه يؤمن بعلم الكلام نفسه : هل يستطيع أن يعظ به العوام، وأن يناقش به الخواص ؟! ليسأل نفسه : هل هوحقيقة يؤمن بعلم الكلام؟! أو تراه يقلد الأسطورة التي تزعم قدسية علم الكلام.

آن للأزهر أن يقاوم التيار الجارف من البدع والإلحاد بجيش آخر قوي مسلح بالفهم الدقيق الشامل للقرآن وأدلته وبراهينه. إنه بهذا الجيش القوي اليقين يستطيع أن يفتك بكل بدعة، وبكل خرافة، ويديل من سطوة كل مذهب يحاول أن يضع نفسه خفية موضع الإسلام ، بل يستطيع أن يفتح للإسلام ملايين القلوب ، ومئات الشعوب والأمم ، ويقضي على مكايد الصهيونية والاستعمار، ولاسيما في عهد الأزهر الجديد.

إننا موقوفون غداً بين يدي الله ـ سبحانه ـ وسيسألنا ربنا عما قضينا به لأنفسنا ، وللناس من أمور الإيمان والعقيدة ، تُرى هل نستطيع يومئذ أن نقول لله : إننا قضينا بما في كتاب العقائد النسفية ، أو العضدية، أو المواقف !! وإننا هجرنا القرآن وآمنا بما في هذه الكتب ، لأن علماء الكلام أكدوا لنا أن أدلة كتاب الله الحكيم لا تفيد اليقين، أما مفترياتهم في كتبهم فهي عين اليقين ؟!

ادرسوا كيف دُعي إلى الإسلام في القرون الأولى ، وكيف نجح الدعاة نجاحاً باهراً تسطع منه روح المعجزة، وما كان ثمت فلسفة ، ولا علم كلام، ولا تصوف ، وإنما كان معهم القرآن، والقلوب المؤمنة به ، فهدوا شعوباً وأمماً وقضوا على كل سطوة وجيش للباطل ، أما جيوش علماء الكلام على مدى

الدهور فلا تقص بتاريخها التعس غير عار الذل، وخزي الهزيمة أمام كل عادٍ على الإسلام ، ولم تُخرج لنا مدارسه غير دعاة الشك والحيرة والهزيمة.

وإلا فأروني فرداً واحداً هداه علم الكلام ، أو أروني رجلاً معه إيمان ، ومعه علم الكلام ، أو أروني يقيناً بقي في نفس مع الإيمان بعلم الكلام! ولقد رأينا أئمة علم الكلام لا يعرفون السبيل إلى اليقين إلا بعد أن يكفروا بعلم الكلام، ويؤمنوا بالقرآن.

آن الأوان: لكي نسلك السبيل القويم الذي سلكه سلفنا الصالح في الدعوة إلى الله،فهدوا بالقرآن العرب والعجم ووجدوا له من الفرس والروم ومن ذوي الأديان المختلفة والثقافات المتباينة آلاف الأنصار والمؤمنين به ،الذائدين عنه، المقاتلين في سبيله ، فما نجح سلفنا في الدعوة إلى الله بين العرب فحسب، وإنما نجحوا كذلك بين الأمم الأخرى نجاحاً لا يزال هو المثل الأعلى لكل نجاح ولكل انتصار.

ولا يقل أحد : إن طريق السلف لا يستطيع أن يهدي إلى الغاية الآن ، ولا يصلح لهذا الزمان !! إن من يقترف هذا القول يجب أن يجهر بالحقيقة التي يحاول هو خنقها، حتى لا تفضحه، ولكنها تقهره، وتظل تحكي مأساته الحقيقية، وهي أنه لا يؤمن بالقرآن ، ولا برب القرآن !! فهل نطمع في أن يستجيب الأزهر العظيم لهذه الدعوة المخلصة؟

أهل السنة والجماعة: هناك فرقتان ، ادعت كل منها لنفسها هذا اللقب ، وهما الماتريدية والأشعرية ، أما الفرقة الأولى فهم أتباع أبي منصور الماتريدي، واسمه محمد بن محمد بن محمود، وما تريد اسم محلة بسمرقند ، وُلد فيها أبو منصور ، وكان حنفي المذهب ، وكانت عقيدته خليطاً من جهمية واعتزال وسلفية مطموسة المعالم ، وقد تُوفي سنة ٣٣٣ هـ وينتشر مذهبه فيما وراء

النهر، وهناك يُلقَّبون بأهل السنة والجماعة.

أما الفرقة الأخرى ، فهم الأشعرية نسبة إلى إمامهم أبي الحسن الأشعري، ولم يكن الأشاعرة على دين واحد .

وإليك ترجمات موجزة لمن ذكرنا أراءهم من الأشاعرة في هذه الرسالة على نفس الترتيب.

أبو الحسن الأشعري: هو علي بن إسماعيل بن إسحاق وكنيته أبو الحسن ينتهي نسبه كما يقال إلى أبي موسى الأشعري ، وقد وُلد في البصرة سنة ٢٧٠ هـ أو ٢٦٠ هـ .

أقام على دين المعتزلة قرابة أربعين عاماً ، ثم غاب عن الناس مدة خمسة عشر يوماً ، ثم خرج إلى المسجد الجامع بالبصرة فصعد منبره، ونادى بأعلى صوته: من عرفني ، فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي: أنا فلان ابن فلان . اشهدوا عليَّ أني كنت على غير دين الإسلام وأني قد أسلمت الساعة، وأني تائب مما كنت أقول بالاعتزال، ثم نزل، ثم مضى يؤلف الكتب ضد المعتزلة والرافضة والجهمية والخوارج منتصراً لأهل الحديث فيما يكتب ، حتى توفي رحمه الله سنة ٣٣٠ هـ وقيل غير ذلك ، وأبو الحسن هو المؤسس الأول للمدرسة الأشعرية ، وقد انتشرت الأشعرية في خراسان والعراق والشام وكثير من الأقطار ، وقد سيطر علم الكلام الأشعري على الأزهر قروناً.

الباقلاني: هو « القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم المعروف بالباقلاني البصري المتكلم المشهور كان على مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري، ومؤيداً اعتقاده ، وناصراً طريقته، وسكن بغداد وصنف التصانيف المشهورة في علم الكلام وغيره، وانتهت إليه الرياسة في مذهبه» (١)

(١) عن المصدر السابق .

وقد توفي سنة ٤٠٣ هـ ودُفن ببغداد ، ومن أهم كتبه «التمهيد» وقد لمنا عنه من قبل ، وقد تطورت الأشعرية على يد الباقلاني ، وقد أشرنا إلى يء من هذا ثم أنه خالف أستاذه أبا الحسن في صفة البقاء ، ومسألة الحال لقدرة الحادثة ـ أي القدرة الإنسانية ـ وغير ذلك مما ألمعنا إليه.

ابن فورك: « أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك ، المتكلم الأصولي ، ديب، النحوي ، الواعظ ، الأصبهاني»[1] أقام بالعراق أولاً، ودرس بها هب الأشعري ، ثم استقر به المقام في نيسابور ، وبنى له فيها الأمير ناصر ولة أبو الحسن محمد بن إبراهيم داراً ومدرسة ، صنف من أصول الدين صول الفقه ومعاني القرآن كتباً كثيرة . سُمَّ في الطريق، وهو راجع من زْنَة، فتُوفِّي سنة ٤٠٦ هـ ونُقل إلى نيسابور، ودُفن بالحيرة وهي محلة كبيرة يسابور.

الجويني: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني نسبة إلى جُوَيْنى محلة كبيرة بنيسابور ويُلقب بضياء الدين،وكنيته أبو المعالي ويُعرف بإمام الحرمين ، نه جاور بمكة أربع سنين وبالمدينة يُدرِّس ويفتي، وهو من أعظم متكلمي لأشاعرة المنتسبين إلى مذهب الشافعي ، وُلد سنة ٤١٩ هـ ثم تُوفّي سنة ٤٧ هـ . بنى له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية بمدينة نيسابور ، وتولى لخطابة والتدريس بها وانتهت إليه رياسة الأصحاب ومن تلاميذه الغزالي ، له صنفات كثيرة منها الإرشاد والعقيدة النظامية، وقد طُبعا بالقاهرة ، ورسالة ي إثبات الاستواء.

الغزالي: محمد بن محمد بن أحمد الغزالي ـ كنيته أبو حامد لقبه حجة الإسلام ، وُلد ٤٥٠ هـ في طوس إحدى مدن خراسان وقد تتلمذ

(١) من ترجمته في وفيات الأعيان .

على الجويني أيام رئاسته للمدرسة ، خرج قاصداً الوزير نظام الملك في العسكر سنة ٤٧٨ هـ، لينال الحظوة لديه ويحل محل الجويني ، فولاه نظام الملك رياسة مدرسة ببغداد، وبهذا صار الغزالي إمام الأشاعرة في وقته ولكنه كان يطمع في أن يكون إمام المتصوفة أيضاً فالوزير «نظام الملك» صديق المتصوفة العطوف عليهم . فكيف يصل إلى هذه المرتبة الكبرى ؟ لقد هداه تفكيره إلى أمر قد يمهد لهذه ا لمرتبة وقد يؤدي به إلى التمكين له منها ، فهاجر إلى الشام، وأوى إلى العزلة والخلوة والمجاهدات الصوفية ، ومنها السير في القفار وعليه مرقعة، وعلى عاتقه ركوة، ومنها حبس نفسه في منارة مسجد دمشق طيلة النهار، وإغلاق بابها أيضاً على نفسه ، ومن بيت المقدس رحل إلى الحجاز ، ثم عاد إلى طوس وثمت أعلن أن الحقيقة قد تجلت له في هذه الخلوة! أية حقيقة يا تُرى ؟! أهي الحقيقة الدينية التي دعا إليها القرآن؟ إنها لا تحتاج إلى عزلة ومرقعة وركوة، وإنما تحتاج إلى كفاح وجد وتدبر وتقوى ، إنه يقصد «الحقيقة» التي يترنم بها الوجد الصوفي وهي« الوحدة بين الشاهد والمشهود، والوجد والوجود!! هذا هو ما يقصده إذ كان يريد زعامة الصوفية!! وإلا فإننا نسأل : لماذا ترك الغزالي بيت المقدس، والصليبية تطرق من بعيد أبوابه ؟! أين جهاد حجة الإسلام في سبيل إنقاذ أرض مقدسة من أرض الإسلام ؟بل أين حتى إثارة حماس المسلمين في سبيل إنقاذ بيت المقدس ؟ لا شيء من هذا ، فقد كان« حجة الإسلام!!» في شغل بأوهامه وأحلامه ، لا بالإسلام ، ولا بالقبلة الأولى في الإسلام ، ولا بالتفكير في سبيل إنقاذ معقل طهور عظيم من معاقل الإسلام ، كان يفكر في صولجان الصوفية، وعمامتها الكبرى إنه يزعم أنه قد انكشفت له في هذه الخلوة أمور لا يمكن إحصاؤها واستقصاؤها أتراه قد انكشف له أن الصليبيين سيدمرون بيت المقدس وسيحرقون المصاحف فيه،

وسيسفكون في ساحاته دماء الخنازير؟ وأنه مأمور بأن يكتم هذا الذي انكشف له ، وبألا يشارك في جهاد الصليبيين وألا يثير حماس المسلمين في جهادهم ضد الصليبين ؟!

وأخيراً عاد الغزالي إلى نيسابور، ليحل محلّ أستاذه الكبير «الجويني» في رياسة النظامية، وقد سكنت نزوات نفسه ! فقد كان بين «الجويني» وبينه ما بين ذي النعمة،وبين من يحسده عليها ، ويطمع في أن يرثه فيها. كان «الجويني» يرمق تلميذه بالنظر الشزر، ويوحي إليه بهذه النظرات أنه خبير بأطماعه، خبير بما يستهدفه وكان التلميذ يبادل أستاذه تلك المنح القلبية !! وها هو ذا قد بلغ إربه من أستاذه ، فقد مات الجويني ، وأصبح ا لغزالي هو السيد مكانه ، فليعد إلى بلده «طوس». ويقول بعض المؤرخين: إن « الغزالي» في طوس قد تجلى له زيف علم الكلام ، وزيف التصوف ، وزيف الجاه الكذوب الذي كان ينشده من تصديه للإمامة الكبرى في الفنين؟ فهفا إلى القرآن والسنة يتدبرهما في أخريات أيامه ونرجو أن يكون الأمر كذلك. وقد تُوفِّي سنة ٥٠٥ هـ .

وللغزالي كتب كثيرة ، وهي على كثرتها نوعان : الأول« المضنون بها على غير أهلها» وكتب هذا النوع هي الكتب التي سجل فيها الغزالي حقيقة ما كان يعتقده ، وإنك لتجد فيها تأييده لبعض الآراء التي كفّر هو بها الفلاسفة في كتابه التهافت، أما النوع الاخر فكتبه التي كان يؤلفها لعوام المسلمين كما يقول هو ، وإنك لتجد في هذه الكتب الحكم بكفر من يقول بمثل الآراء التي بثها هو في كتبه «المضنون بها على غير أهلها» وحق ما يقول الإمام الجليل «ابن تيمية» : «وهو في التهافت وغيره يكفرهم ، وفي المضنون به يذكر ما هو حقيقة مذهبهم، حتى يذكر في النبوات عين ما قالوه ، وكذلك في الإلهيات»

وما يقوله عن كتاب «المضنون به»: «هو فلسفة محضة ، قول المشركين من العرب خير منه ، دع قول اليهود والنصارى» (١)

طائفة من المنكرين على الغزالي: «رد عليه علماء المسلمين حتى أخص أصحابه أبو بكر بن العربي ، فإنه قال : «شيخنا أبو حامد دخل في بطن الفلاسفة ثم أراد أن يخرج منها ، فما قدر» وقد حكى عنه من القول بمذاهب الباطنية ما يوجد تصديق ذلك في كتبه ، ورد عليه أبو عبد الله المازري ـ شارح صحيح مسلم ـ في كتاب أفرده ، ورد عليه أبو بكر الطرطوشي، ورد عليه أبو الحسن المرغيناني ـ رفيقه ، رد عليه كلامه في مشكاة الأنوار (٢) ونحوه ، ورد عليه الشيخ أبو البيان، والشيخ أبو عمرو بن الصلاح ، وحذر من كلامه في ذلك هو وأبو زكريا النواوي وغيرهما ، ورد عليه ابن عقيل وابن الجوزي وأبو محمد المقدسي وغيرهم» (٣).

وهكذا أجمع أئمة الشافعية والمالكية والحنفية والحنابلة على تخطئته.

وقد بينت في كتابي «هذه هي الصوفية» موقف الغزالي من التوحيد ، وهو موقف نعرفه من الصوفية ، ولكنا لا نعرفه من صفوة المسلمين.

سبب ضلالته : وللإمام ابن تيمية رأي في مأساة الغزالي وسببها، وإليك ما يقوله: «وسبب ذلك أنه كان قد علم بذكائه وصدق طلبه ما في طريق المتكلمين والمتفلسفة من الاضطراب ، وآتاه الله إيماناً مجملاً كما أخبر به عن نفسه وصار يتشوف إلى تفصيل الجملة فيجد في كلام المشايخ والصوفية (٤)

(١) ص ٨١،١٨٩ كتاب النبوات.
(٢) تكلمت عنه في كتابي «هذه هي الصوفية».
(٣) ص ٥٦ نقض المنطق، و انظر ترجمته أيضاً في كتاب طبقات الشافعية الكبرى.
(٤) يعنى الصوفيين العمليين.

هو أقرب إلى الحق، وأولى بالتحقيق من كلام الفلاسفة والمتكلمين والأمر
ما وجده ، لكن لم يبلغه من الميراث النبوي الذي عند خاصة الأمة ، وما
صل إليه السابقون الأولون من العلم والعبادة ، فصار يعتقد أن تفصيل تلك
لجملة يحصل بمجرد تلك الطريق ، حيث لم يكن عنده طريق غيرها لانسداد
طريقة الخاصة السنية النبوية عنه بما كان عنده من قلة العلم بها ، ومن
شبهات التي تقلدها عن المتفلسفة والمتكلمين ، حتى حالوا بها بينه وبين تلك
طريقة، ولهذا كان كثير الذم لهذه الحوائل ، والطريقة والعلم ، وإنما ذاك
لمه الذي سلكه، والذي حُجب به عن حقيقة المتابعة للرسالة وليس هو بعلم،
إنما هو عقائد فلسفية كلامية كما قال السلف : العلم بالكلام هو الجهل، كما
ل أبو يوسف: من طلب العلم بالكلام تزندق» (١).

لماذا نكثر من التحذير من الغزالي؟: لقد ذهب الغزالي إلى ربه، وبقيت بيننا
تبه بدويِّها وصيتها الساحر الخلاب الفاتن الذي يعصف بالفكر والقلب ،
يصرفها عن التمييز بين الحق والباطل ، وبيننا كثير يفتنهم دَوِيّ الألقاب
سحرها ، وقد عكفوا على تراث الغزالي ـ وهو يحمل أضخم لقب في
ناريخ إنه حجة الإسلام ـ عكوف الوثني على صنمه ، وقد يضربون حق
قرآن البين بضلالة عفنة سطرها الغزالي في كتبه، والله يفرض علينا أن نأمر
لمعروف وننهى عن المنكر، ولاسيما عن عبادة الطاغوت، ولهذا نحذر
لسلمين من هذه الكتب الغزالية التي خلط فيها صاحبها الكثير من الباطل
لقليل الأقل من الحق ، أما صاحبها نفسه ، فهو بين يدي ربه ، ونحن نرجو
ن يكون قد قدم بين يدي الله التوبة النصوح منها .

١) ص٥٤ نقض المنطق وقد نسبها ابن عساكر إلى الشعبي.

إني أعلم أن قولي هذا سيثير ثائرة الذين يرون الغزالي كبيراً كبيراً !!
ولكني أقول لهؤلاء : إن الله أكبر ، وكلمة واحدة من كتاب الله أعز عندنا ،
وأعظم من كل كتب الغزالي، ولاسيما الإحياء ، وأقول لهم أيضاً : تدبروا
تراث الغزالي في هدوء ووعي. ثم قارنوا بين مافي تراثه ، وبين أصول
الإسلام، وإني لواثق ـ لو أنكم أخلصتم النية لله ـ من أنكم سترون حكم ابن
تيمية على كتب الغزالي حكماً مبسوط العدل والإحسان.

وكنا نعذر الغزالي لو أنه أخطأ في فرع من الفروع، ولكنه تعمد أن يخطئ
في الأصول، وأقول : تعمد وأصر عليها ، لأنه في كثير من كتبه التي ألفها
لعوام المسلمين يقرر هذه الأصول تقريراً حسناً صائباً غير أنه في كتبه الأخرى
يهدم هذه الأصول ، ولاسيما أصول التوحيد !! وقد بسطنا القول في الغزالي
دون غيره ؛ لأن أَخْذَةَ السحر من صوفيته تستبد بكثير من القلوب وتهيمن
على كثير من النفوس وهذه هي جناية الغزالي الكبرى ، فهو كما يقول
(جولدزيهر) قد جعل من الصوفية عنصراً عادياً مألوفاً في الحياة الدينية في
الإسلام، ورغّب في الاستعانة بالآراء والتعاليم المتعلقة بالتصوف، لكي ينفث
في المظاهر الدينية الرسمية الجامدة قوة روحية» (١).

وهي شهادة رجل يتمنى أن لو سيطرت كتب الغزالي على العقول
الإسلامية؛ لتسدها دون القرآن !!

إنه يقدم لنا الجناية الغزالية في صورة إحسان كريم !! أما الحقيقة فيقولها
شيخ الإسلام ابن تيمية عن آراء الغزالي الصوفية التي ذكرها الغزالي في كتابيه
«الأربعين والمضنون به على غير أهله» : «إذا طلبت ذلك الكتاب ـ يعني

(١) ص ١٦٠ العقيدة والشريعة ط أولى.

المضنون ـ وجدته قول الصابئة المتفلسفة بعينه، وقد غُيرِّت عباراتهم، وترتيباتهم» ويقول أيضاً في نفس المكان: «وهو يميل إلى الفلسفة لكنه أظهرها في قالب التصوف ، والعبارات، ولهذا فقد رد عليه علماء المسلمين» (١).

ومن أجل الخلاص من الوثنية نتحمل المسؤولية كاملة في هدم هذا الطاغوت الكبير الذي حاول أن يضع في قلوبنا تقديسه وعبادته !! ولا يهمنا أن تصيب طارقات المعول بعض الرؤوس الساجدة تحت قدمي الصنم، أو أن يرمينا الناس بما ترمي به الضلالة جلالة الهدى !!

الرازي: محمد بن عمر بن الحسين، كنيته أبو عبد الله ، ولقبه فخر الدين ، وُلد سنة ٥٤٣ هـ ـ وقيل غير هذا ـ بالرى ، وتُوفي سنة ٦٠٦ بمدينة هراة، وهو من أكبر أئمة الأشاعرة الذين أوغلوا في التأويل ، وقد سبق الكلام عنه، يقول ابن خلكان : «رأيت له وصية أملاها في مرض موته على أحد تلامذته تدل على حسن العقيدة» قد ذكرنا جزءاً من وصيته قبل.

وعلى الرازي يعتمد دعاة الخلفية اليوم ، ومن كتبه يستمدون كل ما يعارضون به الكتاب والسنة ، مع أنه لعن هذه الكتب قبيل موته، وبرئ إلى الله منها ، ووصمها بأنها ضلالة وتفاهة.

الشهرستاني: محمد بن أبي القاسم عبد الكريم، كنيته أبو الفتح ويُنسب إلى مدينة شهرستان، وهي مدينة بين نيسابور وخوارزم في آخر حدود خراسان. من كبار متكلمي الأشاعرة، وأهم كتبه «الملل والنحل» و«نهاية الإقدام في علم الكلام».

وُلد سنة ٤٦٧ وقيل غير ذلك ـ وتوفي سنة ٥٤٨ هـ .

والله ولي التوفيق

(١) ص ٥٢ و٥٦ نقض المنطق.

ملحقات
القول في الجهة

يقول ابن رشد (١): «وأما هذه الصفة ، فلم يزل أهل الشريعة من أول الأمر يثبتونها لله ـ سبحانه ـ حتى نفتها المعتزلة ، ثم تبعهم على نفيها متأخرو الأشعرية.. وظواهر الشرع كلها تقتضي إثبات الجهة مثل قوله تعالى: ﴿**ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية**﴾ (٢) ومثل قوله : ﴿ **يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون**﴾ (٣) ومثل قوله تعالى : ﴿**أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور**﴾ (٤) إلى غير ذلك من الآيات التي إن سُلط عليها التأويل عاد الشرع كله مؤولاً، وإن قيل فيها إنها من المتشابهات عاد الشرع كله متشابهاً، لأن الشرائع كلها مبنية على أن الله في السماء وأن منه تنزل الملائكة بالوحي إلى النبيين، وأن من السماء نزلت الكتب ، وجميع الحكماء قد اتفقوا أن الله والملائكة في السماء كما اتفقت الشرائع على ذلك» وبعد أن ساق أدلته العقلية قال: «فقد ظهر لك من هذا أن إثبات الجهة واجب بالشرع

(١) هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القاضي الفليسوف وُلد سنة ٥٢٠ هـ «١١٢٦» أراد الاتصال بابن عربي الصوفي ، فخشي هذا منه مخافة أن يُظهر الفيلسوف الكبير عواره وقد مات بمراكش سنة ٥٩٥ هـ ودُفن في قرطبة.

(٢) سورة الحاقة الآية : ١٧.

(٣) سورة السجدة : ٥.

(٤) سورة الملك : ١٦.

والعقل وأنه الذي جاء به الشرع، وانبنى عليه ، وإن إبطال هذه القاعدة إبطال للشرائع»[1] كلمة حق نطق بها فيلسوف الأندلس، فهل يعقل الذين يزعمون أنهم أرباب الفكر عن فيلسوف يرونه كبيراً يسامق أرسطو؟!

المعية

يقول الإمام الجليل ابن القيم في كتابه «الصواعق المرسلة»: مما ادُّعي فيه المجاز قوله تعالى: ﴿ **وهو معكم أينما كنتم**﴾[2] قالت المجازية: [3] هذا كله مجاز يمتنع حمله على الحقيقة ، إذ حقيقته المخالطة والمجاورة وهي منتفية قطعاً فإذاً معناها : معية العلم ، والقدرة ، والإحاطة ، ومعية النصر والتأييد ، والمعونة» وبعد هذا التفصيل لشبهة المنكرين للصفات ولاسيما لاستواء الله على عرشه ، وفوقيته ـ سبحانه ـ ردّ عليهم ردوداً مفصلة من العقل والنقل ، ونذكر هنا بعض ما ردّ به «ابن القيم» على هذه الشبهة.

يقول: «إن الله ـ سبحانه قد بين في القرآن غاية البيان أنه فوق سمواته وأنه مستو على عرشه، وأنه بائن عن خلقه ، وأن الملائكة تعرج إليه ، وتنزل من عنده، وأنه رفع المسيح إليه ، وأنه يصعد إليه الكلم الطيب إلى سائر مادلت عليه النصوص من مباينته لخلقه ، وعلوه على عرشه ، هذه نصوص محكمة ، يجب ردَّ المتشابهة إليها».

(١) ص ١٧٦ وما بعده « مناهج الأدلة» لابن رشد بتحقيق الدكتور محمود قاسم .

(٢) سورة الحديد: ٤.

(٣) أي الذين يزعمون آيات الصفات الإلهية لا حقيقة لها ولا معنى ، يفترون لها معاني باطلة تصرفها عن حقيقة معناها الجليل مثل الذين يؤولون الاستواء بالاستيلاء ، فقد أبوا أن يوصف الله بالعلو على خلقه ، ووصفوهُ بأنه كان مقهوراً مغلوباً على أمره ، وأن عرشه كان بيد غيره !! فإن الاستيلاء يفيد القهر والمغالبة.

ثم يقول: «إن الله ـ تعالى ـ يبين في غير موضع أنه خلق السموات والأرض ومابينهما، وأن له ملك السموات والأرض وما بينهما، وأن الأرض قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه، وأن كرسيه وسع السموات والأرض، وأنه يمسك السموات والأرض ، وهذه نصوص صريحة في أن الرب ـ تعالى ـ ليس هو عين هذه المخلوقات، ولاصفة، ولا جزءاً منها، فإن الخالق غير المخلوق، وليس بداخل فيها محصور ، بل هي صريحة في أنه مباين لها ، وأنه ليس حالاً فيها ولا مَحَلاً لها فهي هادية للقلوب عاصمة لها أن تفهم من قوله :﴿ **وهو معكم**﴾ أنه ـ سبحانه عين المخلوقات [1] أو حالٌّ فيها ، أو محل لها».

ويقول : «إنه ليس ظاهر اللفظ «أي لفظ مع» ولا حقيقته أنه ـ سبحانه ـ مختلط بالمخلوقات ممتزج بها ، ولا تدل لفظة «مع» على هذا بوجه من الوجوه فإن «مع» في كلامهم للصحبة اللائقة ، وهي تختلف باختلاف متعلقاتها ، ومصحوبها ، فكون نفس الإنسان معه كَوْنٌ، وكَوْنُ علمه وقدرته وقوته معه كونٌ ، وكونُ زوجه معه كونٌ، وكونُ أميره ورئيسه معه كونٌ، وكونُ ماله معه كونٌ، فالمعية ثابتة في هذا كله مع تنوعها، واختلافها، فيصح أن يقال : زوجته معه ، وبينهما شقة بعيدة ، وكذلك يُقال: مع فلان داركذا ، وضيعة كذا، فتأمل نصوص المعية في القرآن، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ **محمد رسول الله**

(١) يؤكد ابن عربي كبير الصوفية وشيطانهم أن الله هو عين المخلوقات ، فيقول : «سبحان من أظهر الأشياء ، وهو عينها» ص ١٠٤ جـ ٢ الفتوحات المكية لابن عربي ويقول: «إن العارف المكمل من يرى الحق في كل شيء ، بل يراه عين كل شيء» ص ١٩٢ جـ ١ فصوص الحكم طبع الحلبي، ويرى بعض الصوفية أن الله حالٌّ في كل شيء ،وزعيم هؤلاء الحلاج ، والذين يزعمون أن الله في كل مكان أو يقولون : إنه موجود في كل الوجود إنما يؤكدون إيمانهم بأن الله هو عين الخلق، ومعاذ الله!!.

والذين معه أشداء على الكفار﴾[1] وقوله: ﴿ **وكونوا مع الصادقين**﴾[2] ﴿ **واركعوا مع الراكعين**﴾ [3] ﴿ **وما آمن معه إلا قليل**﴾[4] وأضعاف ذلك. هل يقتضي موضع واحد منها مخالطة في الذوات أو التصاقاً وامتزاجاً؟ ! فكيف تكون حقيقة المعية في حق الرب ـ تعالى ـ ذلك، حتى يُدَّعى أنها ـ أي المعية ـ مجاز لا حقيقة؟!

فليس في ذلك ما يدل على أن ذاته تعالى فيهم،ولا مجاورة بوجه من الوجوه، وغاية ما تدل عليه «مع» المصاحبة والموافقة والمقارنة في أمر من الأمور، وهذا الاقتران في كل موضع بحسبه يلزمه بحسب متعلقه، فإذا قيل : الله مع خلقه بطريق العموم، كان من لوازم ذلك علمه بهم ، وتدبره لهم، وقدرته عليهم وإذا كان خاصاً كقوله: ﴿ **إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون**﴾ [5] كان من لوازم ذلك معيته لهم بالنصرة والتأييد والمعونة، فمعية الله تعالى مع عبده نوعان: عامة وخاصة. وقد اشتمل القرآن على النوعين.

وقد أخبر الله تعالى أنه مع خلقه [مع] كونه مستوياً على عرشه، وقرن بين الأمرين ، كما قال تعالى: ﴿ **هوالذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير**﴾[6] فأخبر أنه خلق السموات والأرض ، وأنه استوى على عرشه، وأنه مع خلقه يبصر أعمالهم من فوق عرشه، فعُلُوُّه لا يناقض معيته، ومعيته لا تُبطِل عُلُوَّه بل كلاهما حق».

ثم يقول : «هو قريب من المحسنين بذاته ورحمته قرباً ليس له نظير وهو مع

(١) سورة الفتح: ٢٩. (٢) سورة التوبة: ١١٩. (٣) سورة البقرة: ٤٣.
(٤) سورة هود: ٤٠. (٥) سورة النحل: ١٢٨. (٦) سورة الحديد: ٤.

ذلك فوق سماواته على عرشه، كما أنه ـ سبحانه ـ يقرب من عباده في آخر الليل ، وهو فوق عرشه، فإن علوه ـ سبحانه ـ على سماواته من لوازم ذاته فلا يكون ـ قط ـ إلا عالياً ، ولا يكون فوقه شيء ألبتة كما قال أعلم الخلق : «**وأنت الظاهر، فليس فوقك شيء**» [1].

التأويل وجنايته على المسلمين

يقول الدكتور محمود قاسم في كتابه «الفيلسوف المفترى عليه ابن رشد»: « لقد أخطأ المتكلمون خطأ كبيراً عندما ركنوا إلى التأويل في الشرع على نحو لا تضبطه قاعدة مما أدى إلى تعدد التأويلات وتضاربها وتعارضها، وصحب ذلك بطبيعة الأمر أن تزعزعت عقائدُ كثيرٍ من الناس ، وانقسم المسلمون إلى طوائف متنافرة كما تنبأ الرسول ـ عليه السلام ـ فقال : «**ستفترق أمتي على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة**» [2]وهنا يفسر ابن رشد هذا الحديث فيقول : «إن المراد بالطائفة الواحدة هي التي اتبعت ظاهر هذا الشرع» [3].

* * *

(١) ص ٢٦٢ وما بعدها جـ مختصر الصواعق المرسلة.

(٢) في رواية أبي داود (٤٥٩٦) والترمذي (٢٦٤٠) وابن ماجه (٣٩٩١) عن أبي هريرة: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة» بدون زيادة «اثنتان وسبعون في النار» وواحدة في الجنة» وفي رواية لأبي داود (٤٥٩٧) والحاكم (١٢٨/١) بتلك الزيادة، وقد ضعف الحديث كثير من العلماء أما الغزالي فمسخه في كتابه «فيصل التفرقة» فجعل فرقة واحدة للنار وبقية الفرق للجنة !!

قلت: إن الحديث ثابت لاشك فيه، ولذلك تتابع العلماء خلفاً عن سلف على الاحتجاج به حتى قال الحاكم في أول كتابه «المستدرك» : «إنه حديث كبير في الأصول» وممن صححه من العلماء ابن تيمية والذهبي والشاطبي والحافظ العراقي وغيرهم وانظر السلسلة الصحيحة (٢٠٤) . [الناشر] .

(٣) ص ١٢١ الفيلسوف المفترى عليه تأليف الدكتور محمود قاسم .

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
إيمان الصحابة والتابعين	٧
سطوة الأشعرية	١١
الرأي في علم الكلام	١٣
منهج أنصار السنة	١٦
الاتهام بالتجسيم	١٩
مقارنة بين السلف والخلف	٢٥
عقيدة الأشعري	٢٧
هجومه على المعتزلة والقدرية	٢٧
أدلته في إثبات الاستواء	٢٩
طعنه فيمن يؤول الاستواء بالاستيلاء	٣١
ثبوت الأشعري على ما في الإبانة	٣٣
رأي الأشعري في كتابه المقالات	٣٧

رأي الباقلاني	٣٨
إنكاره على من فسر بالاستيلاء	٣٨
حكمه على من فسر الاستواء بالاستيلاء	٤٠
الحكم على ناشري التمهيد	٤١
رأي في الباقلاني	٤٦
رأي ابن فورك	٤٨
رأي الجويني	٤٩
رأي الغزالي	٥٤
رأي الرازي	٥٨
براءته من الخلف	٦٠
ابن تيمية والأشعرية	٦٤
رأي الصوفية	٦٦
المعية	٧٢
تحقيق مذهب السلف	٧٦
ترجمات: الجهمية، والحرورية، الرافضة	٨٢
القدريه	٨٣
المرجئة	٨٥
المعتزلة	٨٦

التأويل ٨٨
علم الكلام ٨٨
شك علماء الكلام ٩٣
ابن تيمية وأدلة الكلام ٩٤
رجاء إلى الأزهر ٩٥
أهل السنة والجماعة ٩٦
أبو الحسن الأشعري ٩٧
الباقلاني ٩٧
ابن فورك ٩٨
الجويني ٩٨
الغزالي ٩٨
المنكرون على الغزالي ١٠١
لماذا نكثر من التحذير من الغزالي ١٠٢
الرازي ١٠٤
الشهرستاني ١٠٤
ملحقات: القول في الجهة ١٠٥
المعية ١٠٦

* * *